

خطوات إلى السعادة

تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

خُطُوَاتٌ إِلَى السَّعَادَةِ

ح عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٤٣هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

خطوات إلى السعادة. / عبد المحسن بن محمد القاسم - ط ٥.

- المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

٢٣٤ ص ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ٩-٩٩٧٨-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١ـ الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٤٣/٨٥٣٦

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٨٥٣٦

ردمك: ٩-٩٩٧٨-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الخامسة

طبعةٌ مزيدةٌ منقحةٌ محققةٌ

١٤٤٣ هـ ـ ٢٠٢٢م



تأليف
د. عبد المحسن بن محمد القاسم
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يمكن الاطلاع وتحميل جميع مؤلفات فضيلة الشيخ على الرَّابط:

a-alqasim.com/books/



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدِّمة

الحَمْدُ لِلَّهِ ربِّ العَالمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ مُقْتَطَفَاتٌ مُخْتَصَرَةٌ فِي مَوْضُوعَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ تُعِينُ العَبْدَ عَلَى الوُصُولِ إِلَى شَاطِئِ السَّعَادَةِ، وَقَدْ سَمَّيْتُهُ: «**خُطُوَاتٌ إِلَى السَّعَادَةِ**»، مُؤْتَسِياً فِي ذَلِكَ بِمَا سَارَ عَلَيْهِ الأَئِمَّةُ الأَعْلَامُ فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ؛ كَابْنِ القَيِّمِ فِي كِتَابَيْهِ: «الفَوَائِدِ» و«بَدَائِعِ الفَوَائِدِ»، وابْنِ الجَوْزِيِّ فِي «صَيْدِ الخَاطِرِ»، وابْنِ حَزْمٍ فِي «مُدَاوَاةِ النُّفُوسِ».

أسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وأَنْ يَجْعَلَهُ ذُخْراً لَنَا فِي الآخِرَةِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.





السَّعَادَةُ

حَقِيقَةُ السَّعَادَةِ

السَّعادةُ جَنَّةُ الأحلَامِ ومُنتهى الآمَالِ، كلُّ البشر يَنشُدُهَا، وقليلٌ مَنْ يُدْركُهَا، ومع اختلافِ العبادِ ومعَايِشِهم وتبايُنِ وسائِلِهم وغَايَاتِهِم، وتنوُّعِ لُغَاتِهِم وأَجنَاسِهم، ومع افتراقِ مَشاربِهم وطُمُوحَاتِهِم؛ إلَّا أنَّهم مُتَّفقُون على طلبِ السَّعادةِ؛ لتوَجُّعِهِم مِنْ مُكَابَدَةِ الحيَاةِ وآلَامِهَا، وطَمَعِهِم فِي حياةٍ سَعِيدَةٍ هنِيئَةٍ، لا أَحزانَ فيهَا ولا هُمُومَ.

ونَوَالُ السَّعادةِ مِنْحةٌ مِن الرَّحْمَنِ يَهَبُهَا لمَنْ يشاءُ من عبادِه، فمنهُم مَنْ يَنْعَمُ في جَنَاها، ومنهُم مَنْ يُحرمُهَا ويعيشُ في أمانِيهَا، والمُوفَّقُ مَنْ هُدِيَ إليها؛ فسَلَكَها وخَطَا إليها، وعَمِلَ لها، وجانَبَ ما يُضَادُّها مِمَّا يَجلبُ له الشَّقاءَ.



أَيْنَ أَجِدُ السَّعَادَةَ؟

ظنَّ بَعضُ النَّاس أنَّ السَّعادةَ في المَالِ والثَّراءِ، ومنهم مَنْ تَوَهَّمها في المنصِبِ والجَاهِ، ومنهم مَنْ طَلَبَها في تحقيقِ الأمَانِي المُحرَّمةِ، والخَلْقُ في سعيٍ حَثِيثٍ لنَيْلِهَا، وفي جِدٍّ وتَشْمِيرٍ لتَحْصِيلِهَا؛ فمِنْ مُدْرِكٍ لَهَا ومِنْ مَحرُوم منها، ومِنْ بائسٍ شقِيٍّ تَوهَّم السَّعادةَ على غير حقيقتها، فآثر دنياهُ على دينهِ، وهَوَاهُ على آخرَتِهِ، فجَنَى الوَهْمَ والهَمَّ، وكَابَدَ المعيشةَ وقَاسَى الأحزانَ.

وَالحقُّ أَنَّ السَّعَادَةَ لَنْ تُنالَ إلَّا بتقوى اللَّهِ ﷻ، وبطاعتِه وطاعةِ رسولِه ﷺ، وبالبُعدِ عن المعاصي والسَّيِّئاتِ؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

قال شيخُ الإسلام رحمه الله[١]: «الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ هُوَ جِمَاعُ السَّعَادَةِ وَأَصْلُهَا»[٢]، فالحَياةُ وما فيها من مَتاعٍ لا سَعادةَ فيها بلا تقوى.

قال الشَّاعِرُ[٣]:

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ ... وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ
فَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْراً ... وَعِنْدَ اللَّهِ لِلأَتْقَى مَزِيدُ

❖ ❖ ❖

---

(١) هو: أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام ابن تَيميَّة، الحرَّانيّ، ثمَّ الدِّمشقيّ، وُلد سنة (٦٦١هـ)، وتوفي سنة (٧٢٨هـ). ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩١).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠/ ١٩٣).

(٣) الحُطَيْئة، في ديوانه (ص٣٩٣).

طَرِيقُ السَّعَادَةِ

لَا سَبيلَ إلى السَّعادةِ إلَّا بطاعةِ اللَّهِ، ومَنْ أكْثَرَ من الأعمالِ الصَّالِحَةِ، واجْتَنَبَ الذُّنوبَ والخطايَا؛ عَاشَ سعيداً، وكان من ربِّهِ قريباً، قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ»[٢].

والسَّعادَةُ تَزْهُو إذا حَقَّقَ العبدُ توحيدَ ربِّهِ، وعَلَّقَ قلبَه بخالقِهِ، وفوَّضَ جميعَ أُمورِهِ إليه، قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «التَّوْحِيدُ يَفْتَحُ لِلْعَبْدِ بَابَ الخَيْرِ وَالسُّرُورِ وَاللَّذَّةِ، وَالفَرَحِ وَالِابْتِهَاجِ»[٤].

والسَّعادةُ يَكْتَمِلُ عِقْدها بالإحسان إلى الخَلْق مع مُلازَمَةِ طَاعةِ اللَّهِ؛ قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالسَّعَادَةُ فِي مُعَامَلَةِ الخَلْقِ: أَنْ تُعَامِلَهُمْ لِلَّهِ؛ فَتَرْجُوَ اللَّهَ فِيهِمْ وَلَا تَرْجُوَهُمْ فِي اللَّهِ، وَتَخَافَهُ فِيهِمْ وَلَا تَخَافَهُمْ

---

(١) هو: أبو الفِدَاء إسماعيل بن عُمَر بن كثير القُرشيّ البصريّ ثمَّ الدِّمشقيّ، ولد سنة (٧٠١هـ)، وتوفي بدمشق سنة (٧٧٤هـ). الرَّدُّ الوافر (ص٩٢)، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٢٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠١).

(٣) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب الدِّمشقيّ، ابن قيِّم الجوزيَّة، وُلد سنة (٦٩١هـ)، وتوفي سنة (٧٥١هـ). ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠).

(٤) زاد المعاد (٤/ ١٨٦).

فِي اللَّهِ، وَتُحْسِنَ إِلَيْهِمْ رَجاءَ ثَوَابِ اللَّهِ لَا لِمُكَافَأَتِهِمْ، وَتَكُفَّ عَنْ ظُلْمِهِمْ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ لَا مِنْهُمْ»[1].

وَمَنْ ذَاقَ طعمَ الإيمانِ ذَاقَ حلاوةَ السَّعادةِ، وعاشَ مُنْشَرِحَ الصَّدرِ، مُطمَئنَّ القلبِ، ساكنَ الجوارحِ؛ قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَسَمِعْتُ شَيْخَ الإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً، مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَا يَدْخُلْ جَنَّةَ الآخِرَةِ، وَقَالَ لِي مَرَّةً: مَا يَصْنَعُ أَعْدَائِي بِي؟ أَنَا جَنَّتِي وَبُسْتَانِي فِي صَدْرِي، إِنْ رُحْتُ فَهِيَ مَعِي لَا تُفَارِقُنِي»[2].



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ٥١).
(٢) الوابل الصيب (ص٤٨).

المَحْرُومُ مِنَ السَّعَادَةِ

الشَّقاءُ في اتِّباعِ الهوى؛ باقترافِ المعاصي والسَّيِّئاتِ، ولذَّاتُ الدُّنيا المُحرَّمةُ مَشُوبَةٌ بالمَضارِّ، وهي سَببُ الشَّقاءِ في الدُّنيا والآخرةِ، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] أي: في شِدَّةٍ وضِيقٍ[١].

قال شيخُ الإسلامِ ﷺ: «كُلُّ شَرٍّ فِي العَالَمِ - مُخْتَصٌّ بِالعَبْدِ - سَبَبُهُ: مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ، أَوِ الجَهْلُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَسَعَادَةُ العِبَادِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ: بِاتِّبَاعِ الرِّسَالَةِ»[٢].

والفِرَارُ من الشَّقَاءِ إلى السَّعَادةِ يَكونُ بالتَّوبةِ والإنابةِ إلى اللَّهِ؛ قال ابنُ القيِّم ﷺ: «وَيُغْلَقُ بَابُ الشُّرُورِ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ»[٣].

فاطْرُقْ أَبوابَ التَّوبةِ وأَوْصِدْ أَبوابَ المعاصي؛ لتذوقَ طعمَ السَّعادةِ؛ فعافيةُ القلبِ في تركِ الآثامِ، والذُّنوبُ على القلبِ بمنزلة السُّمومِ؛ إِنْ لَمْ تُهْلِكْهُ أَضْعَفَتْهُ.

وَمَنِ انْتَقَلَ مِنْ ذُلِّ المعصيةِ إلى عزِّ الطَّاعةِ أغناهُ اللَّهُ بلا مالٍ، وآنسَهُ بلا صاحبٍ، والشَّقيُّ مَنْ أَعرض عن طاعةِ مولاهُ، واقترفَ ما حرَّم اللَّهُ.



(١) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٨٠).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٩/ ٩٣). (٣) زاد المعاد (٤/ ١٨٦).

كَيْفَ أَعْرِفُ أَنِّي سَعِيدٌ؟

مَنْ جَمَعَ ثلاثةً كان سعيداً حقّاً: الشُّكرَ على النِّعمِ، والصَّبرَ على الاِبْتِلاءِ، والاِسْتِغفارَ من الذُّنوبِ.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ - فِي بَيَانِ عَلَامَاتِ سَعَادَةِ العَبْدِ -: «إِذَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الأُمُورَ الثَّلَاثَةَ عُنْوَانُ سَعَادَةِ العَبْدِ، وَعَلَامَةُ فَلَاحِهِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، وَلَا يَنْفَكُّ عَبْدٌ عَنْهَا أَبَداً»[1].

وإذا أَطرقْتَ مَلِيّاً تُحاسِبُ نفسَكَ على تَقصيرِهَا، وتُعظِّمُ زلَّاتِها، وتَخشَى من هفواتِها، وتَتغافلُ عمَّا قدَّمْتَ من محاسنَ بين يديها طمعاً في ثوابِ خالقِها؛ فتلك أَمارةٌ على نفسٍ تطلبُ حياةً سَعيدةً؛ قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «عَلَامَةُ السَّعَادَةِ: أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُ العَبْدِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَسَيِّئَاتُهُ نَصْبَ عَيْنَيْهِ، وَعَلَامَةُ الشَّقَاوَةِ: أَنْ يَجْعَلَ حَسَنَاتِهِ نَصْبَ عَيْنَيْهِ، وَسَيِّئَاتِهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ»[2].

فالسَّعيدُ مَنِ اتَّقى خالقَه، وحسُنتْ مُعاملتُه مع الخَلْقِ، وشكَرَ النِّعَمَ واسْتَعْمَلها في طاعتِهِ، وتَلقَّى البلاءَ بالصَّبرِ والاِحتسابِ، وانشراح صدرٍ؛ يقيناً منه بأنَّ اللَّهَ يطهِّرُه بذلك، ويرفعُ درجاتِه، واستغفرَ ربَّه عن الخطايا، وندِمَ على الأوزارِ.



(١) الوابل الصيب (ص٥).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٨).

خُطُوَاتٌ إِلَى السَّعَادَةِ

الإِخْلَاصُ

مَا الإِخْلَاصُ؟

ضابطُ الإخلاصِ: أَنْ تكونَ نيَّتُكَ في هذا العمل للَّهِ؛ لا تُريدُ بها غيرَ اللَّهِ، لا رياءً، ولا سُمْعَةً، ولا رِفْعةً، ولا تَزَلُّفاً[(١)] عند أحدٍ، ولا تَتَرَقَّبُ من النَّاس مدحاً، ولا تخشى منهم قَدْحاً.

فإذا كانت نيَّتُكَ للَّهِ وحده، ولم تُزَيِّنْ عملَكَ من أجْلِ البشر؛ فأنت مُخلِصٌ، يقولُ الفُضَيْل بنُ عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «العَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، وَتَرْكُ العَمَلِ لِأَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ، وَالإِخْلَاصُ: أَنْ يُعَافِيَكَ اللَّهُ مِنْهُمَا»[(٣)].

فأخْلِصْ جميعَ أعمالِكَ له سبحانه، ولا تتَطَلَّعْ لأحد، وأدْخِلْ نفسَكَ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].



(١) أي: تَقرُّباً. الصحاح (٤/ ١٣٧٠).

(٢) هو: أبو عليٍّ الفُضَيْل بن عياض بن مسعود التَّميميّ اليربوعيّ، وُلد سنة (١٠٥هـ)، وتوفي سنة (١٨٧هـ). سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١)، طبقات الحفاظ للسيوطي (١/ ١١٠).

(٣) حلية الأولياء (٨/ ٩٥).

الإِخْلَاصُ لِلَّهِ طَرِيقُ السَّعَادَةِ

غِنى العبدِ بطاعةِ ربِّهِ والإقبالِ عليه، وإخلاصُ الأعمالِ للَّهِ أصلُ الدِّينِ، وتاجُ العملِ، وطريقُ السَّعادةِ، وهو عُنوانُ الوَقارِ، وسُموِّ الهِمَّةِ، ورُجْحانِ العقلِ، ولا يتمُّ أمرٌ ولا تحصلُ برَكةٌ إلَّا بصلاحِ القَصدِ والنِّيةِ.

وقد أمرَ اللَّهُ نبيَّه مُحمَّداً ﷺ بالإخلاصِ في أكثرِ من آيةٍ، فقال له: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وقال له: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: ١٤]، فصلاحُ العملِ من صلاحِ النِّيَّة، وصلاحُ النِّيَّةِ من صلاحِ القلبِ.

وأصلُ قَبولِ الأعمالِ عند اللَّهِ: الإخلاصُ مع المُتابعةِ؛ يقولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه[1]: «لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمَا وَافَقَ السُّنَّةَ»[2].

والإخلاصُ عزيزٌ في جانبِ العباداتِ؛ يقُولُ ابْنُ الجوزيِّ رحمه الله[3]:

(١) هو: أبو عبد الرَّحْمن عبد اللَّه بن مسعود بن غافل الهُذلِيّ، أَسلم في أوَّل بُزُوغ فجر الإسلام، وتوفي سنة (٣٢هـ) أو (٣٣هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة (٣/ ٣٨١).

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨٠٣)، رقم (١٠٨٩).

(٣) هو: أبو الفرج عبد الرَّحْمن بن علي القُرشيّ البغداديّ، المعروف بابن الجَوزيّ، ولد سنة (٥٠٨هـ)، وتوفي سنة (٥٩٧هـ). التكملة لوفيات النقلة للمنذري (١/ ٣٩٤)، سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥).

«مَا أَقَلَّ مَنْ يَعْمَلُ لِلَّهِ تَعَالَى خَالِصاً؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يُحِبُّونَ ظُهُورَ عِبَادَاتِهِمْ»[١].

ويقُولُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «الرِّيَاءُ المَحْضُ لَا يَكَادُ يَصْدُرُ مِنْ مُؤْمِنٍ فِي فَرْضِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَقَدْ يَصْدُرُ فِي الصَّدَقَةِ الوَاجِبَةِ أَوِ الحَجِّ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، أَوِ الَّتِي يَتَعَدَّى نَفْعُهَا؛ فَإِنَّ الإِخْلَاصَ فِيهَا عَزِيزٌ، وَهَذَا العَمَلُ لَا يَشُكُّ مُسْلِمٌ أَنَّهُ حَابِطٌ، وَأَنَّ صَاحِبَهُ يَسْتَحِقُّ المَقْتَ مِنَ اللَّهِ وَالعُقُوبَةَ»[٣].

وقدِ افتتحَ بعضُ العلَماءِ - كالإمامِ البُخاريِّ[٤] في صَحِيحهِ[٥]، والمَقْدسِيِّ[٦] في «عُمْدَة الأَحْكَام»[٧]، والبَغَوِيِّ[٨] في «شَرحِ السُّنَّة»[٩]

(١) صيد الخاطر (ص٢٦٤).

(٢) هو: أبو الفرج عبد الرَّحْمن بن أحمد بن رَجَبٍ البَغْدادِيّ، الدِّمشقيّ، الحنبلي، وُلد سنة (٧٣٦هـ)، وتوفي سنة (٧٩٥هـ). الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد (١/ ٤٦)، طبقات الحفاظ للسيوطي (١/ ٥٤٠).

(٣) جامع العلوم والحِكم (١/ ٧٩).

(٤) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعْفيّ مولاهم، البُخاريّ، وُلد سنة (١٩٤هـ)، وتوفي سنة (٢٥٦). تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ١٠٤).

(٥) باب كيف كان بدْء الوحي إلى رسول اللَّه ﷺ؟ رقم (١).

(٦) هو: أبو مُحمَّد عبد الغنيّ بن عبد الواحد بن عليّ بْن سرور الجَمَّاعِيليّ المَقدِسيّ، وُلد سنة (٥٤١هـ)، وتوفي سنة (٦٠٠هـ). ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ١).

(٧) ضمن «متون طالب العِلم - المتون الإضافيَّة -» بتحقيقنا (ص١٣).

(٨) هو: أبو مُحمَّد الحسين بن مسعود الفَرَّاء البغَويّ، توفي سنة (٥١٦هـ)، وعاش بضعاً وسبعين سَنة. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧/ ٧٥)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩).

(٩) كتاب الإيمان (١/ ٥)، رقم (١).

و«مَصَابِيح السُّنَّة»[١]، والنَّوَوِيّ[٢] في «الأَرْبَعِين النَّووِيَّة»[٣] - مُصنَّفاتِهِم بحديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»؛ إِشَارةً منهم إلى أَهَمِّيَّةِ الإِخْلَاصِ في الأعمال.

يقولُ سُفيَانُ الثَّورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «مَا عَالَجْتُ شَيْئاً أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي؛ لِأَنَّهَا تَتَقَلَّبُ عَلَيَّ»[٥].

والعَملُ من غير نيَّةٍ خَالِصَةٍ لوَجْهِ اللَّهِ طاقةٌ مُهْدَرةٌ، وجُهْدٌ مُبَعْثَرٌ، وهو مَردودٌ على صَاحبِهِ، واللَّهُ تعالى غنيٌّ حميدٌ؛ لا يَقبلُ مِنَ الأعمالِ إلَّا ما كان خالصاً له سبحانه؛ يقولُ أبُو أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٦]: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ؛ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَا شَيْءَ لَهُ**، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ: **لَا شَيْءَ لَهُ**، ثُمَّ قَالَ: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصاً،**

---

(١) في المقدمة (١/ ١١٠).

(٢) هو: أبو زكريَّا يحيى بن شرف بن مُرِّي النَّوويّ، الشَّافعيّ، وُلد سنة (٦٣١هـ)، وتوفي سنة (٦٧٦هـ). طبقات الشافعيَّة الكبرى للسبكي (٨/ ٣٩٥)، طبقات الشافعيَّة لابن قاضي شهبة (٢/ ١٥٣).

(٣) ضمن «متون طالب العِلم - المستوى الأوَّل -» بتحقيقنا (ص٧٩).

(٤) هو: أبو عبد اللَّه سفيان بن سعيد بن مسروق الثَّوريّ، وُلد سنة (٩٧هـ)، وتوفي سنة (١٢٦هـ). سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩).

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٦٢).

(٦) هو: أبو أمامة صُدَي بن عجلان بن وهب، البَاهِلِيّ، كان يسكن حمص، توفي سنة (٨١هـ)، وهو ابن إحدى وتسعين سنة، وهو آخر مَنْ مات بالشَّام من أصحاب النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٣٦).

وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ» رواه النسائي[١].

ويقول ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» رواه مسلم[٢].



(١) كتاب الجهاد، باب مَنْ غزا يلتمس الأجر والذِّكر، رقم (٣١٤٠).
والنَّسائيّ هو: أبو عبد الرَّحْمن أحمد بن شعيب بن علِيّ الخُراسانيّ النَّسائيّ، وُلد سنة (٢١٥هـ)، وتوفي رحمه الله سنة (٣٠٣هـ). تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ١٩٤).

(٢) كتاب الزُّهْد والرَّقَائق، باب مَنْ أشرك في عمله غير اللَّه، رقم (٢٩٨٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ومسلم هو: أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القُشَيْريّ النَّيْسَابوريّ، وُلد سنة (٢٠٤هـ)، وتوفي سنة (٢٦١هـ). تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ١٢٥).

مَا الأَعْمَالُ الَّتِي أُخْلِصُ فِيهَا لِلَّهِ؟

بعضُ النَّاس يَظُنُّ أنَّ الإخلاصَ إنَّما هو فقط في الصَّلاة وقراءةِ القرآن وأعمالِ العبادات الظَّاهرة - كالدَّعوةِ إلى اللَّه والإنفاقِ -؛ وهذا غيرُ صحيحٍ؛ فالإخلاصُ واجبٌ في جميع العبادات، حتَّى في زيارةِ الجارِ، وصِلَةِ الرَّحِمِ، وبرِّ الوالِدَيْن، هذه مطلوبٌ فيها الإخلاصُ؛ وهي من أجَلِّ العبادات.

وكلُّ فِعْلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ ويَرْضاهُ واجبٌ فيه إخلاصُ النِّيَّةِ مَهما كان العملُ، حتَّى في جانبِ المُعاملاتِ - كالصِّدقِ في البيع والشِّرَاء، وحُسْنِ مُعامَلة الزَّوجة، والاحتسابِ في إصلاح الأولاد وغيرِها -؛ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**» متفق عليه[١].

فكلُّ أَمرٍ يُحبُّه اللَّهُ ويَرْضاهُ - من الأقوال والأعمال الظَّاهرةِ والباطِنَةِ - فهو عبادةٌ، وواجبٌ فيها الإخلاصُ، وإن دقَّ العملُ.



(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أنَّ الأعمال بالنِّيَّة، رقم (٥٦)، ومسلم، كتاب الوصيَّة، باب الوصيَّة بالثُّلُث، رقم (١٦٢٨)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

بَرَكَةُ العَمَلِ فِي الإِخْلَاصِ

إذا أخلصَ العبدُ النِّيَّةَ وعمِلَ عملاً صالحاً - ولو كان يسيراً -؛ فإنَّ اللَّهَ يتقبَّلُه ويُضاعفه.

يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي المُسْلِمِينَ»، وفي رواية: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ المُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ؛ فَأُدْخِلَ الجَنَّةَ» متفق عليه[(١)].

فبإخلاصِه - مع يُسْرِ العمل - أَدْخَله اللَّهُ الجَنَّةَ برحمته.

وتأمَّلْ في المرأة البَغيِّ الَّتي عَمِلت أعمالاً قبيحةً، ثُمَّ عمِلَت عملاً يسيراً في أعْيُن البشر؛ وهو سِقَايَة كلبٍ، وليس إنساناً، فغفر اللَّهُ لها بذلك العَمَلِ اليسيرِ، مع سوء عَمَلها من البَغي؛ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يَطِيفُ[(٢)] بِرَكِيَّةٍ[(٣)]، قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا[(٤)] فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ؛ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ» متفق عليه[(٥)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب من أخذ الغصن وما يؤذي النَّاس في الطَّريق فرمى به، رقم (٢٤٧٢)، ومسلم، كتاب البرِّ والصِّلَة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطَّريق، رقم (١٩١٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أي: يَدُور. مقاييس اللغة (٣/ ٤٣٢).

(٣) الرَّكِيَّة: البِئْر. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢٩٠).

(٤) المُوق: الخُفّ. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٣٧٨).

(٥) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٦٧)، ومسلم، كتاب السَّلام، باب فضل سَاقِي البهائم المُحترَمة وإطعامها، رقم (٢٢٤٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والعِبْرَةُ في الإسلامِ لَيستْ بكثرةِ العملِ فَحَسْب؛ إنَّما العِبْرَة: بصِحَّة النِّيَّة والقَصْد، وَكثرةِ العَمَل المُوَافقِ لسُنَّة المصْطَفى ﷺ، وقد جمع ربُّنا ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، فجمَعَتْ هذه الآيةُ: الإخلاصَ، وإقَامَةَ الصَّلاةِ، وإيتاءَ الزَّكاةِ.

والعملُ - وإن كان كثيراً - مع فقْدِ صحَّةِ المُعتقَدِ يُورِدُ صاحبَه النَّارَ - والعياذ باللَّه تعالى -؛ قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال الفُضَيل بنُ عِيَاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]: «أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ، مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ العَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصاً وَلَمْ يَكُنْ صَوَاباً؛ لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَاباً وَلَمْ يَكُنْ خَالِصاً؛ لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصاً صَوَاباً، وَالخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ»[١].



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٢٤).

بِالنِّيَّةِ الصَّادِقَةِ تَنَالُ ثَوَابَ العَمَلِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلْ

الكَرَمُ من صفات ربِّ العالمين، والعبدُ إذا أحسَنَ القَصْدَ ولم تَتَهيَّأْ له أَسبابُ عملِ الصَّالحاتِ؛ فإنَّه يُؤْجَرُ على ذلك الفعلِ وإن لم يَعْمَلْهُ؛ كرماً من اللَّهِ وفَضْلاً، يقولُ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)]: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: **إِنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ؛ حَبَسَهُمُ المَرَضُ**»، وفي رِوَايَةٍ: «**إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الأَجْرِ**» رواه مسلم[(٢)].

وَرواه البُخاريُّ[(٣)] عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)] قَالَ: «رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **إِنَّ أَقْوَاماً بِالمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْباً وَلَا وَادِياً إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا؛ حَبَسَهُمُ العُذْرُ**».

ويقولُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ الرَّجلِ الَّذي لا مالَ عنده ويَنْوِي الصَّدقةَ ويقولُ: لو أنَّ لِي مالاً لعَمِلْتُ بعملِ فلانٍ: «**فَهُوَ بِنِيَّتِهِ؛ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ**»

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه جابر بن عَبد اللَّه بن عَمْرو الخَزْرَجيّ الأَنصارِيّ، كان مع مَنْ شَهِدَ العَقَبَة، توفي سنة (٧٤هـ)، وعاش أربعاً وتسعين سنة. الإصابة في تمييز الصحابة (١/٥٤٦).

(٢) كتاب الإمارة، باب ثواب مَنْ حَبَسَه عن الغزو مرض أو عذر آخر، رقم (١٩١١).

(٣) كتاب الجهاد والسِّيَر، باب مَنْ حَبَسَه العذر عن الغزو، رقم (٢٨٣٩).

(٤) هو: أبو حمزة أنس بن مالك بن النَّضْر الخَزْرجيّ الأنصاريّ، غزا مع رسول اللَّه ﷺ ثماني غزوات، توفي سنة (٩٣هـ)، وهو آخر مَنْ توفي بالبصرة من الصَّحابة. معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٢٣١).

رواه التِّرمذيُّ[١].

وفي صَحِيحَي البُخَارِيِّ[٢] وَمُسْلِمٍ[٣]: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[٤] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ».

فالمسلمُ يجعلُ نِيَّتَهُ في كلِّ خيرٍ قائمةً؛ يقولُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه[٥]: «أَفْضَلُ الأَعْمَالِ: صِدْقُ النِّيَّةِ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ»[٦]، ويقولُ دَاوُدُ الطَّائِيُّ رحمه الله[٧]: «رَأَيْتُ الخَيْرَ كُلَّهُ إِنَّمَا يَجْمَعُهُ حُسْنُ النِّيَّةِ»[٨].

---

(١) كتاب الزُّهْد، باب ما جاء مثل الدُّنيا مثل أربعة نفر، رقم (٢٣٢٥)، من حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه.

والترمذي هو: أبو عيسى مُحمَّد بن عيسى بن سورة السّلميّ التِّرمذيّ، وُلد سنة (٢١٠هـ)، وتوفي سنة (٢٧٩هـ). تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ١٥٤)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠).

(٢) كتاب الرِّقاق، باب مَنْ هَمَّ بحسنة أو بسيِّئة، رقم (٦٤٩١).

(٣) كتاب الإيمان، باب إذا هَمَّ العبد بحسنة كُتبت، وإذا هَمَّ بسيِّئة لم تُكتَب، رقم (١٣١).

(٤) هو: أبو العبَّاس عبد اللَّه بن عبَّاس بن عبد المُطَّلب الهاشميّ القُرشيّ، ابن عمِّ رسول اللَّه ﷺ، وُلد سنة (٣ق.هـ)، وتوفي سنة (٦٨هـ) أو (٧٠هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة (٣/ ١٨٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٢١).

(٥) هو: أمير المؤمنين أبو حَفْص عُمَر بن الخطَّاب بن نُفَيْل العَدويّ القُرشيّ، ولد رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، قتله أبو لُؤْلُؤَة المَجوسيّ سنة (٢٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٤٤).

(٦) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ٧١).

(٧) هو: أبو سليمان داود بن نصير الطَّائيّ الكوفيّ، ولد بعد سنة (١٠٠هـ)، وتوفي سنة (١٦٢هـ). سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٢).

(٨) جامع العلوم والحكم (١/ ٧٠).

ومَنْ سَرَّهُ أن يَكمُلَ له عملُه فليُحْسِنْ نيَّتَه، فإنَّ اللَّهَ يأجرُ العبدَ إذا حَسُنَتْ نيَّتُه حتَّى باللُّقمة؛ يقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ» متفق عليه[1].

وكان السَّلَفُ الصَّالحُ يحثُّون على حُسْنِ النِّيَّة في كلِّ أَمرٍ صالحٍ؛ يقول يَحيَى بنُ أَبِي كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «تَعَلَّمُوا النِّيَّةَ؛ فَإِنَّهَا أَبْلَغُ مِنَ العَمَلِ»[3]، ويقولُ زُبَيْدٌ اليَامِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[4]: «انْوِ فِي كُلِّ شَيْءٍ تُرِيدُهُ الخَيْرَ، حَتَّى خُرُوجِكَ إِلَى الكُنَاسَةِ[5]»[6].



(١) سبق تخريجه (ص٢٣).

(٢) هو: أبو نصر يحيى بن أبي كثير الطَّائيّ مولاهم، اليَماميّ، توفي سنة (١٢٩هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٧).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٧٠)، جامع العلوم والحكم (١/ ٧٠).

(٤) هو: زُبَيْد بن الحارث اليَاميّ الكوفيّ، مُحدِّث، من صغار التَّابعين، توفي سنة (١٢٢هـ). سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٩٦).

(٥) الكُنَاسَة: مَوضعٌ لقضاءِ الحاجة وإِلْقَاءِ القُمامَة. الصحاح (٥/ ٢٠١٥).

(٦) جامع العلوم والحكم (١/ ٧٠).

ثَمَرَاتُ الإِخْلَاصِ

العَمَلُ الصَّالِحُ لا يُقبَلُ إِلَّا بالإخلاصِ، وبدون إخلاصٍ يُرَدُّ العملُ - ولو كَثُرَ -، والإخلاصُ مَانعٌ - بإذن اللَّه - من تسلُّطِ الشَّيطانِ على العبدِ؛ قال سبحانه عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

والمُخلِصُ مَحفوظٌ بحفظِ اللَّهِ من العِصيانِ والمَكَاره، قال سبحانه عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وفي الإخلاصِ طُمَأْنِينَةُ القَلْبِ، وشُعُورٌ بالسَّعَادَةِ، وراحةٌ مِنْ ذُلِّ الخَلْقِ، يقولُ الفُضَيْل بنُ عِيَاضٍ رحمه الله: «مَنْ عَرَفَ النَّاسَ اسْتَرَاحَ»[1]؛ أي: إذا عرفَ أنَّهم لا ينفعونَه ولا يضرُّونَه؛ اسْتَراح منهم.

وبالإخلاص رِفْعَةُ الدَّرَجاتِ وطَرْق أبوابِ الخَيْرَاتِ؛ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلاً تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ؛ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً**» متفق عليه[2]، وقال أبو بكر بن عَيَّاش رحمه الله[3]: «مَا

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ٩٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب رِثَاء النَّبيِّ ﷺ سعد ابن خولة، رقم (١٢٩٥)، ومسلم، كتاب الوصيَّة، باب الوصيَّة بالثُّلُث، رقم (١٦٢٨)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) هو: أبو بكر بن عيَّاش بن سالم مولى واصل الأحدب الأَسديّ الحنَّاط، وفي اسمه خلاف كبير، وُلد سنة (٩٥هـ)، وتوفي سنة (١٩٣هـ). سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩٥)، تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٩٤).

سَبَقَهُمْ أَبُو بَكْرٍ - أَيْ: مَا سَبَقَ الصَّحَابَةَ - بِصَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ؛ وَلَكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي قَلْبِهِ»[١].

والعَملُ القَليلُ مع الإخلاص يعظم عند اللَّه، ويَتضاعفُ الثَّوابُ؛ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ -؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا[٢] لِصَاحِبِهَا، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ[٣]، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ العَظِيمِ**» متفق عليه[٤].

قال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ[٥]: «رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعَظِّمُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ»[٦].

وقال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]: «أَيْ: بِحَسَبِ إِخْلَاصِهِ فِي عَمَلِهِ»[٧].

وإذا قَوِيَ الإِخْلَاصُ وعَظُمَتِ النِّيَّةُ، وأُخْفِيَ العملُ الصَّالحُ - مِمَّا

---

(١) منهاج السُّنَّة لشيخ الإسلام (٦/ ٢٢٣).

(٢) أي: يَحْفَظُها، والتَّربية والتَّربيب: القيام على الشَّيْء، والإصلاح والمعاهدة لَهُ. مشارق الأنوار (١/ ٢٨٠)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٧٩).

(٣) الفَلُوُّ: المُهْر الصَّغير. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٧٤).

(٤) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا يقبل اللَّه صدقة من غلول، رقم (١٤١٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب قَبول الصَّدقة من الكسب الطَّيِّب وتربيتها، رقم (١٠١٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) هو: أبو عبد الرَّحمن عبد اللَّه بن المبارك بن واضح الحَنْظَليّ مولاهم، المَرْوَزيّ، وُلد سنة (١١٨هـ)، وتوفي سنة (١٨١هـ). تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٢٠١).

(٦) جامع العلوم والحِكم (١/ ٧١).

(٧) تفسير ابن كثير (١/ ٦٩٣).

يُشْرَعُ فيه الإخفاءُ -؛ قَرُبَ العبدُ من ربِّهِ، وأَظلَّه تحتَ ظِلِّ عرشه، يقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ ...** - وَذَكَرَ مِنْهُمْ: - **وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**» متفق عليه[١].



(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب مَنْ جلس في المسجد ينتظر الصَّلاة وفضل المساجد، رقم (٦٦٠)، ومسلم، كتاب الزَّكَاة، باب فضل إخفاء الصَّدَقَة، رقم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كَيْفَ أَكُونُ مُخْلِصاً لِلَّهِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِي؟

الشَّيطانُ يَتعرَّضُ للإنسانِ ليُفْسِدَ عليه أَعمالَهُ الصَّالحةَ، ولا يزالُ المُؤمِنُ في جِهَادٍ مع عدُوِّهِ إبليسَ حتَّى يَلقَى ربَّهُ على الإِيمانِ بِه، وإخلاصِ جميع أعماله له وحده؛ ومِنْ أَهَمِّ عواملِ الإخلاصِ:

١ - الدُّعَاءُ:

الهِدايةُ بِيَدِ اللَّهِ تعالى، والقُلُوبُ بين إصْبَعَيْنِ من أصابع الرَّحْمَنِ يُقلِّبُها كيف يَشَاءُ، فَالْجَأْ إلى مَنْ بِيَدِه الهِدَايةُ، وأَظْهِرْ له حاجَتَكَ وفَقْرَكَ، واسْأَلْهُ دوماً الإخلاصَ، وقَدْ كان أَكْثرُ دُعَاءِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ اجعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحاً، واجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصاً، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئاً»[(١)].

٢ - إِخْفَاءُ العَمَلِ:

كُلَّما اسْتَتَرَ العَمَلُ - الَّذي يُشْرَعُ فيه الإخفاءُ - كان أَقْرَبُ إلى الإخلاصِ وأَرْجَى للقَبُول، والمُخْلِصُ الصَّادِقُ يُحبُّ إخفاءَ حَسَناتِهِ، كما يُحِبُّ أَنْ يُخفِيَ سيِّئاتِهِ، وتقدَّم في حديث السَّبْعَة الَّذين يُظلِّهُم اللَّه في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**» متفق عليه.

---

(١) رواه أحمد في الزهد (ص٩٧)، رقم (٦١٧).

يقولُ بِشْرُ بنُ الحَارِثِ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «لَا تَعْمَلْ لِتُذْكَرَ، اكْتُمِ الحَسَنَةَ كَمَا تَكْتُمُ السَّيِّئَةَ»(٢).

وقَدْ فُضِّلَتْ نافِلةُ صَلاة اللَّيل على نافِلَةِ النَّهار، واستِغْفَارُ السَّحَرِ على غيرِهِ؛ لِأنَّ ذلك أبْلَغُ في الإسْرَار، وأَقْرَبُ إلى الإخلاصِ.

٣ - النَّظَرُ إِلَى أَعْمَالِ الصَّالِحِينَ مِمَّنْ هُمْ فَوْقَكَ:

فِي أعمالِك الصَّالحةِ لا تنظُرْ إلى أعمالِ رِجَالِ زَمانِك مِمَّنْ هُمْ دُونَكَ في المُسَابَقَةِ إِلى الخَيْرَاتِ، وتَطَلَّعْ دائماً إلى الِاقتِدَاء بالأنبياء والصَّالحين؛ يقول سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، واقْرَأ سِيَرَ الصَّالحين مِنَ العلماءِ والعُبَّادِ والنُّبَلاءِ والزُّهَّادِ؛ فهو أَرْجَى لزيادة الإيمان في القلب.

٤ - احْتِقَارُ العَمَلِ:

آفةُ العَبْدِ رِضَاهُ عن نفسِهِ، ومَنْ نظَرَ إلى نفسِه بعين الرِّضا؛ فقد أَهلَكَها، ومَنْ نَظَرَ إلى عَمَلِه بعَيْن العُجْبِ؛ قلَّ معه الإخلاصُ، أو نُزِعَ منه، أو حَبِطَ العَمَلُ الصَّالِحُ بعد العمل، يقولُ ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَعَلَامَةُ قَبُولِ العَمَلِ: احْتِقَارُهُ وَاسْتِقْلَالُهُ، وَصِغَرُهُ فِي قَلْبِكَ، حَتَّى إِنَّ العَارِفَ لَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَقِيبَ طَاعَتِهِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ ثَلَاثاً»(٣).

---

(١) هو: أبو نصر بِشْر بن الحارث بن عبد الرَّحمن المَرْوَزيّ، المشهور بـ«بِشْر الحَافيّ»، ولد سنة (١٥٢هـ)، وتوفي سنة (٢٢٧هـ). سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧٦).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٦٢).

٥ - الخَوْفُ مِنْ عَدَمِ قَبُولِ العَمَلِ:

كلُّ عَملٍ صَالِحٍ تَفْعَلُهُ احتَقِرْهُ، وإذا عَمِلْتَهُ كُنْ خَائفاً مِنْ عَدَمِ قَبُولِه؛ ومِنْ حِفْظِهِ: عَدَمُ العُجْبِ والفَخْرِ بِهِ؛ بَلْ يَبْقَى الخَوْفُ من عدم قَبُولِهِ مُعلَّقاً، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩٢].

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ[١]، والتِّرْمِذِيُّ[٢] أَنَّ أُمَّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا[٣] قَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرَبُ الخَمْرَ وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؟

قَالَ: **لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ خَائِفُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ**».

قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]: «أَيْ: يُعْطُونَ العَطَاءَ

---

(١) في المسند، رقم (٢٥٢٦٣).

والإمام أحمد هو: أبو عبد اللَّه أحمد بن مُحمَّد بن حنبل الشَّيبانيّ المَرْوَزيّ البغداديّ، إمام أهل السُّنَّة والجماعة، وأحد أئمَّة المذاهب الأربعة، وُلد سنة (١٦٤هـ)، وتوفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (٢٤١هـ). طبقات الحنابلة (١/ ٤).

(٢) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون، رقم (٣١٧٥).

(٣) هي: أمُّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق، زوج النَّبيِّ ﷺ، وُلِدَت بعد المبعث بأربع أو خمس سنين، تزوَّجها رسول اللَّه ﷺ بمكَّة قبل الهجرة بسنتين، توفِّيت سنة (٥٨هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٨١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٣١).

وَهُمْ خَائِفُونَ وَجِلُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ؛ لِخَوْفِهِمْ أَنْ يَكُونُوا قَدْ قَصَّرُوا فِي القِيَامِ بِشَرْطِ الإِعْطَاءِ»[١].

والإخلاصُ يَحتاجُ إلى مُجاهَدَةٍ قَبْلَ العَمَلِ وأَثْنَاءَهُ وبَعْدَهُ.

٦ - عَدَمُ التَّأَثُّرِ بِكَلَامِ النَّاسِ:

الرَّجلُ الموَفَّقُ هو الَّذي لا يَتأَثَّرُ بمَدْحِ النَّاس؛ فإذا أَثْنَوْا عليه خيراً - إن فعل طاعةً - لم يَزِدْهُ ذلك إلَّا تَواضُعاً وخَشْيةً من اللَّه، وأيقَنَ بأنَّ مَدْحَ النَّاس له فتنةٌ، فدعا ربَّه أنْ يُنجِّيه من هذه الفتنة، فليس أَحدٌ ينفع مَدْحُهُ ويضرُّ ذمُّه إلَّا اللَّه تعالى.

فأَنْزِلِ النَّاسَ مَنْزلةَ أصحابِ القبور - في عدمِ جَلْبِ النَّفع لك، ودفعِ الضُّرِّ عنك -، يقول ابن الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «تَرْكُ النَّظَرِ إِلَى الخَلْقِ، وَمَحْوُ الجَاهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ بِالعَمَلِ، وَإِخْلَاصِ القَصْدِ، وَسَتْرِ الحَالِ؛ هُوَ الَّذِي رَفَعَ مَنْ رَفَعَ»[٢].

٧ - اسْتِصْحَابُ أَنَّ النَّاسَ لَا يَمْلِكُونَ جَنَّةً وَلَا نَاراً:

إذا استحضر العبدُ أنَّ الَّذين يُرائِيهم سوف يَقِفُونَ معه في المَحْشَرِ خَائفين عَارِينَ؛ أَدْرَك أنَّ صَرْفَ النِّيَّة لهم في غير مَحلِّه؛ فهم غير قادرين على أن يُخفِّفوا عنه من وَطْأَة المَحْشَر شيئاً؛ بل هم معه في ذلك الضَّنْكِ.

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٨٠).

(٢) صيد الخاطر (ص٢٦٤).

فإذا عَمِلْتَ ذلك؛ عَلِمْتَ أنَّ العَملَ حقُّه أنْ لا يُقصد به إلَّا مَنْ يملك الثَّواب والعقاب، ومَنْ له ذلَّت الرِّقاب.

فعليك - أيُّها المؤمن - أن تُوقِنَ بأنَّ البَشرَ لا يَمْلِكُون جَنَّةً يُقدِّمونَك إليها، ولا قُدرةَ لهم على إخراجِكَ من النَّار - لو طَلَبْتَ منهم إِخْرَاجَكَ منها -؛ بل لو اجتمع البَشرُ كلُّهم - مِنْ آدمَ إلى آخرِهِم - ووَقَفُوا خَلْفَكَ؛ لَمَا استطاعوا أنْ يُقَدِّمُوك إلى الجَنَّة ولو بخطوة واحدة.

إذاً لماذا تُرائِي البَشَر وهم لا يَمْلِكُون لك شيئاً؟! قال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ صَامَ وَصَلَّى وَذَكَرَ اللَّهَ، وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ عَرَضَ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ لَهُ فِيهِ بِالكُلِّيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا نَفْعَ فِي ذَلِكَ لِصَاحِبِهِ، لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ فِيهِ وَلَا لِغَيْرِهِ»[1]؛ أي: ولا نَفْعَ فيه أيضاً لِغَيْرِهِ.

ثُمَّ إنَّ الذين تُزَيِّنُ عَمَلَك لهم - من أجل أنْ يَمدحُوكَ - لن تُحصِّلَ مُرادَك منهم؛ بل إنَّهم سوف يَذمُّونك، وتُفْضَح عندهم، ويُلْقَى في قُلُوبِهِم بُغْضُكَ، يَقولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ يُسَمِّعْ؛ يُسَمِّعِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي؛ يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» متفق عليه[2].

أَمَّا إذا أَخلَصْتَ للَّهِ أَحبَّكَ اللَّهُ، وأَحبَّكَ الخَلْقُ، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] أي: مَحبَّةً[3].

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٦٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرِّقاق، باب الرِّياء والسُّمعة، رقم (٦٤٩٩)، ومسلم، كتاب الزُّهد والرَّقائق، باب مَنْ أشرك في عَمَلِه غير اللَّه، رقم (٢٩٨٧)، من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٦٩).

٨ - تَذَكَّرْ أَنَّكَ فِي القَبْرِ بِمُفْرَدِكَ:

النُّفوسُ تَصْلُح بتذكُّر مصيرِهَا، وإذا أَيْقَن العَبدُ أنَّه يُوَسَّدُ اللَّحْدَ مُنْفَرِداً بلا أَنِيس، وأنَّه لا يَنْفَعُه سوى العَملِ الصَّالحِ، وأنَّ جَمِيعَ البَشَر لن يرفعوا عنه شيئاً من عذاب القبر، وأنَّ الأمرَ كلَّه بيد اللَّه؛ أَيْقَنَ حين ذاك أنَّه لا ينجيه إلَّا إخلاصُ العَمَلِ لِخَالِقِه وحده ﷻ؛ يقولُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صِدْقُ التَّأَهُّبِ لِلِقَاءِ اللَّهِ مِنْ أَنْفَعِ مَا لِلْعَبْدِ وَأَبْلَغِهِ فِي حُصُولِ اسْتِقَامَتِهِ؛ فَإِنَّ مَنِ اسْتَعَدَّ لِلِقَاءِ اللَّهِ انْقَطَعَ قَلْبُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَمَطَالِبِهَا»[١].



(١) طريق الهجرتين (ص١٧٦).

هَلِ الرِّيَاءُ يَدْخُلُ عَلَى الصَّالِحِينَ؟

مَدَاخِلُ الشَّيطانِ على العبد عديدةٌ، فهو يُلْبِس كلَّ صِنْفٍ من النَّاس لبوسَهَم؛ فيدفع التُّجَّارَ إلى أكل الرِّبا، ويُزيِّن للنِّساء أُمورَ الزِّينة المحرَّمة، ويَدخلُ على الصَّالحين من باب الرِّياء.

قال الطِّيبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)] عن الرِّياء: «وَهُوَ مِنْ أَضَرِّ غَوَائِلِ النَّفْسِ وَبَوَاطِنِ مَكَائِدِهَا؛ يُبْتَلَى بِهِ العُلَمَاءُ وَالعُبَّادُ وَالمُشَمِّرُونَ عَنْ سَاقِ الجِدِّ لِسُلُوكِ طَرِيقِ الآخِرَةِ»[(٢)].

وهو مِنْ أَخْفَى الأبواب وأَضرِّهَا على العبد؛ قال في تيسير العزيز الحميد[(٣)]: «الرِّيَاءُ أَخْوَفُ عَلَى الصَّالِحِينَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ».

والنَّبيُّ ﷺ كان يَخافُه على أصحابه، ويقولُ لَهُمْ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟** قَالُوا: بَلَى، قَالَ: **الشِّرْكُ الخَفِيُّ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ**» رواه أحمد[(٤)].

والصَّالِحُ إذا كان يُرَائِي بعَمَلِه يُعَذَّبُ في الآخِرَة قبل غَيْرِه؛

---

(١) هو: الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن عبد اللَّه الطِّيبيّ، توفي سنة (٧٤٣هـ). الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (٢/ ١٨٥).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (١١/ ٣٣٧٤).

(٣) (ص٤٦١).

(٤) في المسند، رقم (١١٢٥٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقولُ ﷺ: «أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» رواه مسلم[(١)].

فتأمَّلْ هذا الحَدِيث، فإنَّ أوَّلَ النَّاس يُقْضَى فيهم يوم القيامة: المُجاهِدُ، والمُتعَلِّمُ، والمُتصَدِّقُ؛ إذا فسَدَتْ نِيَّاتُهم، ويُسْحَبون على وجوههم في النَّار، مع أنَّ العَمَلَ الَّذي عَمِلُوه مِنْ أَجَلِّ الأعمال عند اللَّه، ولكن جُنُوحُ النِّيَّة عن الإخلاص أَرْدَاهُم في الهَاوِيَةِ.



(١) كتاب الإمارة، باب مَنْ قاتل للرِّياء والسُّمْعَة استحقَّ النَّار، رقم (١٩٠٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لَيْسَ هَذَا مِنَ الرِّيَاءِ

مَنْ عَمِل عملاً صالِحاً خَالِصاً لوجه اللَّهِ، ثمَّ أَلْقَى اللَّهُ له الثَّناء الحسن في قلوب المؤمنين - وهو لم يتَرَقَّبْ ذلك -، فَفَرِحَ بفضل اللَّهِ، واسْتَبْشَرَ بذلك؛ فإنَّ هذا لا يَضُرُّه، وليس هذا من الرِّيَاء.

يقولُ أبو ذَرٍّ رضي الله عنه[١]: «سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، يَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: **تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ**» رواه مسلم[٢].

أمَّا مَنْ عَمِلَ عملاً صالحاً، وزيَّنه مِنْ أَجْلِ أنْ يَمدحَهُ النَّاس عليه؛ فهذا هو الرِّياءُ.



(١) هو: أبو ذرٍّ جُندُب بن جُنَادة بن سفيان الغِفَاريّ، أسلم رابع أربعة، وقيل: خامس خمسة، وتوفي سنة (٣٢هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة (١/ ٣٥٧).

(٢) كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب إذا أُثْنِيَ على الصَّالِح فهي بُشْرَى ولا تَضرُّه، رقم (٢٦٤٢).

عِقَابُ المُرَائِي

ضاعت آمَالُ المُرَائي وخاب سَعْيُه، وعُومِلَ بنَقِيضِ قَصْدِهِ؛ فعُوقِبَ بعُقُوبَتَيْنِ: عُقُوبَةٍ في الدُّنيا، وعِقَابٍ فِي الآخرةِ.

عُقُوبَتُهُ فِي الدُّنيا:

يَفْضَحُ اللَّه المُرَائيَ في الدُّنيا، ويَهْتِكُ سِتْرَهُ ويُظْهِرُ خَبَايَاهُ؛ يقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يُسَمِّعْ؛ يُسَمِّعِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي؛ يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» متفق عليه.

قال الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «مَعْنَاهُ: مَنْ عَمِلَ عَمَلاً عَلَى غَيْرِ إِخْلَاصٍ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَسْمَعُوهُ؛ جُوزِيَ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ يُشَهِّرَهُ اللَّهُ وَيَفْضَحَهُ، وَيُظْهِرَ مَا كَانَ يُبْطِنُهُ»[2].

حتَّى وإِنْ أَخْفَى المُرَائِي كَوَامِنَ النَّفْسِ وخفايا الصَّدْر، فإِنَّ اللَّهَ يُعْلِنُهَا؛ يقولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ» متفق عليه[3].

---

(١) هو: أبو سليمان حمد بن مُحمَّد بن إبراهيم الخَطَّابيّ، ولد سنة (٣٠٠ وبضع عشرة هـ)، وتوفي سنة (٣٨٨هـ). سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣).

(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٣/ ٢٢٥٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب النِّكاح، باب المُتشبِّع بما لم يَنَلْ، وما ينهى من افتخار الضَّرَّة، رقم (٥٢١٩)، ومسلم، كتاب اللِّباس والزِّينة، باب النَّهي عن التَّزوير في اللِّباس وغيره، والتَّشبُّع بما لم يُعط، رقم (٢١٣٠)، من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

عِقَابُهُ فِي الآخِرَةِ:

الـمُرَائِي مُتَوَعَّدٌ فِي الآخرةِ بنارِ جهنَّم؛ قال ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

ويقولُ ﷺ: «أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ ...» وَذَكَرَ منهم: الشَّهيد، وقارئ القرآن، والمُتصَدِّق - الَّذين كانت أَعْمالُهُم لغير اللَّه - إلى أَنْ قال: «فَيُقَالُ لَهُ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: كَذَا، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

فالمُرَائِي في الدُّنْيَا مَفْضُوحٌ، وفي الآخرة مُعَذَّبٌ - والعياذ باللَّه -.



طَلَبُ الدُّنْيا بِالدِّينِ

الدِّينُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُدَنَّسَ بوَحَلِ الدُّنْيَا، وعَملُ البِرِّ لا يقوم على سُوقِه إلَّا بالإخلاصِ، ومَنْ صَرَفَ أَعْمالَ الآخرة لمَقْصِدٍ دُنْيُويٍّ عُوقِبَ به، يقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا؛ لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ** - يَعْنِي: رِيحَهَا -» رواه أحمد[١] وَأبو داود[٢].

والعَملُ الصَّالحُ - وإن كان كثيراً - مع فساد النِّيَّة يُورِدُ صَاحبَه المَهَالِكَ، فقد أَخبرَ اللَّهُ عن المُنافقينَ أَنَّهم يُصلُّون ويُنفِقُون ويُقَاتِلُون، وأَخبرَ النَّبِيُّ ﷺ عنهم أَنَّهم يَتْلُون كتاب اللَّه؛ قال ﷺ: «**وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ**»[٣].

ولكن لِفَقْدِ صِدقِهم في إخلاصهم؛ قال اللَّه عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

---

(١) في المسند، رقم (٨٤٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كتاب العِلم، باب في طلب العِلم لغير اللَّه تعالى، رقم (٣٦٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأبو داود هو: سليمان بن الأَشْعَث بن إسحاق الأَزديّ السِّجستانيّ، وُلد سنة (٢٠٢هـ)، وتوفي سنة (٢٧٥هـ). تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ١٢٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب إثم مَنْ رَاءَى بقراءة القرآن أو تَأَكَّل به أو فَخَر به، رقم (٥٠٥٩)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، رقم (٧٩٧)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وأوَّلُ مَنْ تُسَعَّر بهم النَّارُ: قارِئُ القرآن، والمُجاهِدُ، والمُتَصَدِّقُ بمَالِهِ - الَّذين لم تكن أَعْمَالُهم خالصةً للَّهِ -؛ وإنَّما فعلوا ذلك ليُقَالَ: فُلانٌ قارئٌ، وفُلانٌ جريءٌ، وفُلانٌ مُتصدِّقٌ.

فابتَغِ بقولِك وفِعْلِك ما عند اللَّه؛ فإنَّه يَبْقَى، وما سواه يَفْنَى.

وإذا عَمِلَ العبدُ عملاً أظْهَرَ منه قَصْدَ الخير، ونِيَّتُه في ذلك تَحْصِيلُ مَقْصَدٍ دُنْيَوِيٍّ؛ فهذا ضَرْبٌ من النِّفاق العَمَليِّ؛ قال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنْ أَعْظَم خِصَالِ النِّفَاقِ العَمَلِيِّ: أَنْ يَعْمَلَ الإِنْسَانُ عَمَلاً وَيُظْهِرَ أَنَّهُ قَصَدَ بِهِ الخَيْرَ، وَإِنَّمَا عَمِلَهُ لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى غَرَضٍ لَهُ سَيِّءٍ، فَيَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ، وَيَتَوَصَّلُ بِهَذِهِ الخَدِيعَةِ إِلَى غَرَضِهِ، وَيَفْرَحُ بِمَكْرِهِ وَخِدَاعِهِ وَحَمْدِ النَّاسِ لَهُ عَلَى مَا أَظْهَرَ، وَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى غَرَضِهِ السَّيِّءِ الَّذِي أَبْطَنَهُ؛ وَهَذَا قَدْ حَكَاهُ اللَّهُ فِي القُرْآنِ عَنِ المُنَافِقِينَ واليَهُودِ»(١).

وأَقبحُ مِنْ هذا مَنْ أَحَبَّ المَدْح بما لم يفعل؛ فهو مُتَوَعَّدٌ بالنَّار، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].



(١) جامع العلوم والحِكم (٢/ ٤٩٣).

التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

مَنْزِلَةُ التَّوَكُّلِ

التَّوكُّلُ مَنزلةٌ عاليةٌ من منازل الدِّينِ، قَرَنَهُ اللَّهُ بالعبادة في قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وَجَعَلَهُ سَبَباً لنَيْلِ مَحبَّتهِ، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

في التَّوكُّل رضا الرَّحْمَن، ومَنَعَةٌ من الشَّيطان، والرُّسُلُ عليهم السلام هم أئمَّة المُتوكِّلين؛ فالخليلُ عليه السلام قال: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وشُعَيْبٌ عليه السلام قال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

ومَنْ حقَّقَ التَّوكُّلَ دخل الجنَّةَ بغير حساب؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» رواه مسلم[١].



(١) كتاب الإيمان، باب الدَّليل على دخول طوائف من المسلمين الجنَّة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، رقم (٢١٨)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

فِعْلُ الأَسْبَابِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ

الالتِفَاتُ إلى الأسباب فقط نَقْصٌ في التَّوحيد، ومَحْوُ الأسباب أن تكون أسباباً نَقْصٌ في العَقْل، والإعْرَاضُ عن الأسباب الَّتي أُمِرَ بها قَدْحٌ في الشَّرْع، وعَلَى العَبْدِ أنْ يكونَ قَلْبُه مُعْتَمِداً على اللَّه لا عَلَى الأسباب.

وحَقيقةُ التَّوكُّلِ: القِيامُ بالأسباب، والاعْتِمَادُ بالقَلْب على المُسَبِّبِ، واعتِقَادُ أنَّها بيده؛ فإِنْ شَاءَ مَنَعَ اقْتِضَاءَهَا، وإِنْ شَاءَ جَعَلَهَا مُقْتَضيَةً لِضِدِّ أَحْكَامِهَا، وإِنْ شَاءَ أَقامَ لها مَوَانِعَ وصَوَارِفَ تُعَارِضُ اقْتِضَاءَهَا وَتَدْفعُهُ.

والمُوَحِّدُ المُتَوَكِّلُ لا يَطمَئِنُّ إلى الأسباب، ولا يَرجُوهَا، كما أنَّه لا يُهْمِلُهَا أو يُبْطِلُهَا؛ بل يكون قائماً بها ناظِراً إلى مُسَبِّبِهَا ومُجْرِيهَا سبحانه.

وتَحقيقُ التَّوَكُّلِ لا يُنَافي السَّعْيَ في الأسباب الَّتي قدَّرَ اللَّهُ المَقْدُورَاتِ بها؛ فإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِتَعَاطِي الأسباب مع أَمْرِهِ بالتَّوَكُّلِ، فالسَّعْيُ في الأسباب بالجَوَارِحِ طاعةٌ له، والتَّوَكُّلُ بالقلب عليه إيمانٌ به.

والنَّاسُ إنَّما يُؤْتَوْن من قِلَّة تحقيق التَّوَكُّلِ ووقوفِهِم مع الأسباب الظَّاهرةِ بقلوبِهِم، ومُسَاكَنَتِهِم لها؛ فلذلك يُجْهِدُون أنفُسَهُم في الأسباب، ويجتهدون فيها غايةَ الِاجتهاد ولا يأتيهم إلَّا ما قُدِّرَ لهم،

فلو حقَّقُوا التَّوَكُّلَ على اللَّهِ بقلوبهم لَسَاقَ اللَّهُ إليهم أرزاقَهُم مع أدنى سَبَبٍ، كما يَسُوقُ إلى الطَّير أَرزاقَهَا بمُجَرَّدِ الغُدُوِّ والرَّوَاحِ - وهو نَوْعٌ من الطَّلب والسَّعي، ولكنَّه سَعْيٌ يَسِيرٌ -، قال في تيسير العزيز الحميد[1]: «وَهَذَا مَعْرُوفٌ بالنُّصُوصِ وَالتَّجَارِبِ».



(١) (ص١٣٦).

التَّوَكُّلُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ

السَّعيُ في طلب الرِّزقِ همٌّ كثيرٍ من الخلق؛ فالصَّغيرُ يَنْشُدُه، والكبيرُ يَطْلُبُه، وأكثرُ هموم الحياة وأَحَاديثِها وأَحْدَاثِها تدور في فَلَكِهِ، والمُؤمنُ الحَاذِقُ مَنْ يُفَوِّضُ أَمْرَ الرِّزقِ إلى الرَّازِقِ.

فالرِّزقُ - ما كان لك منه - أَتاكَ على ضَعْفِكَ وقوَّتِكَ، فلا تُضَيِّعْ زمانَكَ بهَمِّك بما ضُمِنَ لكَ من الرِّزقِ، فما دام الأجل باقياً كان الرِّزق آتياً؛ قال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦].

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «تَوَكَّلْ تُسَقْ إِلَيْكَ الأَرْزَاقُ بِلَا تَعَبٍ وَلَا تَكَلُّفٍ»[(١)].

وعَلَى العَبْدِ أنْ يَقْنَعَ بما أعطاه اللَّهُ من الرِّزق، يقولُ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ رِزْقِهِ حِجَابٌ، فَإِنْ قَنَعَ وَرَضِيَتْ نَفْسُهُ؛ أَتَاهُ رِزْقُهُ، وَإِنِ اقْتَحَمَ وَهَتَكَ الحِجَابَ؛ لَمْ يُزَدْ فَوْقَ رِزْقِهِ»[(٣)].

ومَنْ نَظَرَ إلى مَنْ دُونَهُ في الدُّنيا امتَلَأَ قلبُهُ غِنىً من الحياة؛ يقولُ

(١) جامع العلوم والحِكم (٢/ ٥٠٢).
(٢) هو: أبو حفص عُمَر بن عبد العزيز بن مروان الأمويّ القُرشيّ، الخليفة الرَّاشد، وُلد سنة (٦٣هـ)، وتوفي سنة (١٠١هـ). سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤).
(٣) جامع العلوم والحِكم (٢/ ٥٠٢).

النَّبِيُّ ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**» رواه مُسلِمٌ[١].

فكُنْ مُتَوَكِّلاً عَلَى اللَّهِ في طَلَبِ الرِّزق بقلبك، ساعياً له بجَوَارِحِك، مع الِاعتِمَاد على الخَلَّاق الكريم.

وإيَّاكَ والحِرْصَ على تحقيق أَمَلِك من الحياة؛ فإِنَّ ذلك قد يُخْرِجُكَ مِنْ طَوْرِ التَّوَكُّلِ، فتَحْرِص على تحقيق المطلوب حرصاً مخالفاً للشَّرع، وتَعْتَمِد على الأسباب اعتماداً تغفل به عن تفويض الأمور إلى مُسبِّبها.

ومَنْ سَرَّه أن يكون أقوى النَّاس؛ فلْيَتوكَّلْ على اللَّهِ، ومَنْ سَرَّهُ أن يكون أغنى النَّاس؛ فليَكُنْ بما في يد اللَّه أَوْثقَ منه بما في يَدِه.



(١) رواه مسلم، كتاب الزُّهد والرَّقائق، رقم (٢٩٦٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثَمَرَاتُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ

في التَّوَكُّل راحةُ البَالِ، واستقرارٌ في الحَالِ، ودَفْعُ كَيْدِ الأشرار، وهو من أقوى الأسباب الَّتي يَدْفَعُ بها العبدُ ما لا يطيق مِن أذى الخَلْقِ وظُلْمِهِم، وبالتَّوكُّل تستغني النَّفْسُ عمَّا في أيدي النَّاس، يقول شيخ الإسلام: «وَمَا رَجا أَحَدٌ مَخْلُوقاً أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ إِلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيهِ»[1].

ومَنْ فَوَّضَ أمرَهُ إلى مَوْلَاه حَازَ مُنَاهُ؛ فزَكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَغَ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاً، ثُمَّ وُهِبَ سَيِّداً مِن فُضَلَاء البَشَرِ وأنبيائِهِم، قال اللَّه تعالى مُبشِّراً زَكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

وإبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بُشِّر بولَدٍ؛ وامرَأَتُهُ تقول بعد طُولِ انتظارٍ: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢].

وتَرَكَ الخليلُ هَاجَرَ وابْنَه إسماعيل بوَادٍ لا زَرْعَ فيه ولا مَاءَ؛ فإذا هو نَبِيٌّ يأمر أَهْلَهُ بالصَّلَاةِ والزَّكاة.

وما ضَاعَ يونسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُجَرَّداً في العَرَاءِ ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۞ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٥-١٤٦].

يقولُ الفُضَيْل بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ يَئِسْتَ مِنَ الخَلْقِ لَا تُرِيدُ مِنْهُمْ شَيْئاً؛ لَأَعْطَاكَ مَوْلَاكَ كُلَّ مَا تُرِيدُ»[2].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٢٥٧).
(٢) جامع العلوم والحِكم (١/ ٤٩٤).

فَأَلْقِ كَنَفَكَ بين يَدَيِ البَارِي، وعَلِّقْ رَجَاءَكَ بِهِ، وَسَلِّم الأَمْرَ للرَّحِيمِ، واقْطَعِ العَلَائقَ عن الخَلَائِقِ، ولا تَرْجُ إِلَّا اللَّهَ.

وإذا قَوِيَ التَّوَكُّلُ والرَّجَاءُ، وجُمِعَ القَلْبُ في الدُّعاء؛ لم يُرَدَّ النِّدَاءُ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، فالْجَأْ إلى اللَّهِ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ ذليلٍ؛ يَفْتح لَكَ البَابَ.

ومَنْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ باللَّهِ وأَنْزَلَ به حَوائِجَهُ، والْتَجَأَ إليه وفَوَّضَ أَمرَه كلَّه إليه؛ كفاه كُلَّ سُؤْلِهِ، ويسَّرَ له كلَّ عَسِيرٍ، ومَنْ تَعَلَّقَ بغيره أو سَكَنَ إلى عِلْمِهِ وعَقْلِهِ، واعتَمَدَ على حَوْلِهِ وقُوَّتِهِ؛ وَكَلَهُ اللَّهُ إلى ذلك وخَذَلَهُ.



حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ

التَّفاؤُل حُسْنُ ظنٍّ باللَّهِ، والنَّبِيُّ ﷺ كان يُعجِبُه ذلك؛ قال ﷺ: «**يُعْجِبُنِي الفَأْلُ**، قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**» متفق عليه[1].

والمُؤمنُ مَأمورٌ بحُسْنِ الظَّنِّ باللَّه على كلِّ حالٍ، والتَّشاؤُم سوءُ ظنٍّ باللَّه، وإذا زاد إيمان العبد حَسُنَ ظنُّه بربِّه، وإذا نقص إيمَانُه بربِّه سَاءَتْ ظُنونُه بخالقه.

ومِنْ سوء الظَّنِّ بالرَّبِّ العظيم: الظَّنُّ بأنَّ اللَّهَ لا ينصر عبادَه المُوَحِّدين، ولا يُعْلِيهم، أو أنَّ اللَّهَ لا يُظْهِر دينَه، أو ظنُّ العبد أنَّه ينالُ ما عند اللَّهِ بمعصيته ومخالفته - كما ينالُه بطاعته والتَّقرُّب إليه -، أو ظنُّه بأنَّه إذا ترك شيئاً من أجله لم يُعَوِّضْهُ اللَّهُ خيراً منه، أو الظَّنُّ بأنَّ مَنْ فعلَ شيئاً لأجله لم يُعْطِهِ أفضلَ منه، أو الظَّنُّ بأنَّه إذا صَدَقَهُ في الرَّغبة والرَّهبة، وتَضرَّع إليه وسَأَلَهُ، واستعَانَ به وتوكَّلَ عليه؛ أنَّه يُخيِّبه ولا يُعطِيه ما سأله، أو الظَّنُّ بأنَّ الكَرَمَ طريقٌ إلى الفَقْرِ، أو ظنُّ المُتَصَدِّقِ أنَّ المال ينقُصُ بالصَّدقة، أو الظَّنُّ بأنَّ اللَّهَ لا يُخلِفُ عن صدقته مالاً، أو الظَّنُّ بأنَّ التَّمسُّك بهذا الدِّين لا يُعْلِي شَأْنَ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطِّبِّ، باب لا عَدْوَى، رقم (٥٧٧٦)، ومسلم، كتاب السَّلام، باب الطِّيَرَة والفأل وما يكون فيه من الشُّؤْم، رقم (٢٢٢٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

صاحبِه؛ فمَنْ ظَنَّ شيئاً من ذلك، فقد ظنَّ باللَّهِ ظَنَّ السَّوْء، ووقع فيما نهى اللَّه عنه.

وإنَّما كان هذا ظنَّ سوْءٍ باللَّه؛ لأنَّه ظنَّ باللَّه غير ما يليق بأسمائه الحُسْنَى وصفاته العُلْيَا، ونَسَبَهُ إلى خِلاف ما يليق بجماله وكماله، وصفاته ونُعُوتِه.

وأكثرُ النَّاس يظنُّون باللَّه غير الحقِّ ظنَّ السَّوْء فيما يَختصُّ بهم، وفيما يَفْعلُه بغيرهم، ولا يَسْلَم مِنْ ذلك إلَّا مِنْ عَرَفَ اللَّهَ وعَرَفَ أسمَاءَهُ وصِفَاتِه، وعَرَفَ مُوجِبَ حكمته وحمْدِه، قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «لَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَعَرَفَ نَفْسَهُ»[(٢)].

قَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَكْثَرُ الخَلْقِ؛ بَلْ وَكُلُّهُمْ - إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ - يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ، وَظَنَّ السَّوْءِ؛ فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَبْخُوسُ الحَقِّ، نَاقِصُ الحَظِّ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: ظَلَمَنِي رَبِّي، وَمَنَعَنِي مَا أَسْتَحِقُّهُ، وَنَفْسُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ يُنْكِرُهُ، وَلَا يَتَجَاسَرُ عَلَى التَّصْرِيحِ بِهِ.

وَمَنْ فَتَّشَ نَفْسَهُ وَتَغَلْغَلَ فِي مَعْرِفَةِ دَفَائِنِهَا وَطَوَايَاهَا؛ رَأَى ذَلِكَ

---

(١) هو: مُحمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميميّ النَّجديّ، وُلد سنة (١١١٥هـ)، إمام أهل الدَّعوة، مُجدِّد القرن الثَّاني عشر، توفي سنة (١٢٠٦هـ). الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣٧٤)، تسهيل السابلة (٣/ ١٦٤٣).

(٢) متون طالب العِلم، النُّسخة المُتضمِّنة لحواشي التَّحقيق، كتاب التوحيد (ص٣٩٦).

فِيهَا كَامِناً كُمُونَ النَّارِ فِي الزِّنَادِ، فَاقْدَحْ زِنَادَ مَنْ شِئْتَ يُنَبِّئْكَ شَرَارُهُ عَمَّا فِي زِنَادِهِ.

وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَهُ؛ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَتُّباً عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَاقْتِرَاحاً عَلَيْهِ خِلَافَ مَا جَرَى بِهِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِياً

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا الْمَوْضِعِ، وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَسْتَغْفِرْهُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّه ظَنَّ السَّوْءِ، وَلْيَظُنَّ السَّوْءَ بِنَفْسِهِ الَّتِي هِيَ مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ وَمَنْبَعُ كُلِّ شَرٍّ»[1].

فيَجبُ على المُسلمِ أنْ لا يظُنَّ بربِّهِ ظنَّ السَّوْء، وأنْ يُحْسِنَ ظنَّه بربِّهِ في كلِّ شأنه؛ في الحديثِ القُدسِيِّ: قال اللَّه ﷻ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**» متفق عليه[2].



(١) زاد المعاد (٣/ ٢١١).

(٢) رواه البخاري، كتاب التَّوحيد، باب قول اللَّه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، رقم (٧٥٠٥)، ومسلم، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب فضل الذِّكر والدُّعاء والتَّقرُّب إلى اللَّه تعالى، رقم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الدُّعَاءُ

أَهَمِّيَّةُ الدُّعَاءِ

الدُّعاءُ سِمَةُ العُبوديَّةِ، ورَوضةُ القلب، وجَنَّةُ الدُّنيا، عبادةٌ مَيْسُورَة، مُطلَقة غير مُقيَّدةٍ بمكانٍ ولا زمانٍ ولا حالٍ، هو عدوُّ البلاء؛ يُدافِعُه ويُعالِجُه، ويَمْنَع نزولَه ويَرفَعُه، أو يُخفِّفه إذا نزل؛ يقول عُمَرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه: «إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الإِجَابَةِ؛ وَإِنَّمَا أَحْمِلُ هَمَّ الدُّعَاءِ، فَإِذَا أُلْهِمْتُ الدُّعَاءَ فَإِنَّ الإِجَابَةَ مَعَهُ»[١].

الدُّعاءُ - بإذن اللَّه - يَكشِفُ البلايا والمَصَائِب، ويَمْنَع وقوع العذاب والهلاك، وهو سِلاحُ المُؤْمِن؛ لا شيءَ من الأسباب أَنفَع - ولا أَبْلَغ - في حصول المَطْلُوب منه، ما استُجْلِبَت النِّعمُ ولا اسْتُدْفِعَت النِّقَمُ بمثلِه، به تُفرَّج الهُمُومُ وتَزولُ الغُمومُ، كفاه شرفاً قُرْبُ اللَّه من عبده حَالَ الدُّعَاء؛ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وأعجز النَّاس مَنْ عَجَز عن الدُّعاء.

بالدُّعاء تَسْمُو النَّفْسُ وتَعْلُو الهِمَمُ، ويُقْطَع الطَّمعُ عمَّا في أيدي الخَلْقِ، هو سِهام اللَّيلِ يُطْلِقُه القَانِتُون، وهو حَبْلٌ مَمْدُودٌ بين السَّماء والأرض، فالْجَأْ إلى اللَّه في الطَّلب والتَّحصِيل، وافزَعْ إليه وحدَه في الدُّعَاء واللُّجُوء إليه والانكسار بين يديه، والأرزاق خزائنُ ومفاتيحُها

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ١٩٣).

السُّؤال، وثِقْ بأنَّ خزائنَ اللَّه مَلْأَى ويديه سَحَّاء[1] اللَّيل والنَّهار لا تَغِيضُها[2] نفقةٌ.

فادْعُ وربُّك الأكرم، وأَلْقِ نفْسَك بين يديه، وسلِّم الأَمرَ كلَّه إليه، واعزِم المسألَةَ، وعظِّم الرَّغبةَ؛ فما رُدَّ سائلُه، ولا خَابَ طالبُه، ومَنْ نزلت به فاقة فأنزَلَها بالخَلْقِ لم تُسدَّ فاقتُه، ومَنْ أنزلَها بالرَّبِّ؛ فنِعْمَ الرَّزَّاق هو.

ومَنْ ظنَّ بربِّه خيراً أَفَاضَ عليه جَزيلَ خيراتِه، وأَسْبَلَ عليه جميلَ تَفضُّلاته، فلازِم الطَّلَب فالمُعطِي كريمٌ، والكاشف قديرٌ، ولا تَسْتَعجلِ الإجابةَ إذا دَعَوْت، ولا تَسْتَبْطِئها إذا تأخَّرَتْ، ومَنْ يُكثِر قَرْعَ الأبواب يُوشِكُ أن يُفتَحَ له.

ومَنْ حلَّت به نوائبُ الدَّهر فلَجَأَ إلى اللَّه؛ حماه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، فهذا يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ أُلقِيَ في بطنِ الحُوت، وبالدُّعاء نُبِذَ بالعَرَاء من غير أَذىً.

بدعوةٍ واحدةٍ أُغرِقَ أهلُ الأرض جميعُهم، وأنجى اللَّه سبحانه نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ ومَنْ معه من المؤمنين؛ قال سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ۞ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧-١٢٠].

---

(١) أي: دَائِمَة العَطَاء. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٠٩).

(٢) أي: تَنْقُصُهَا. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ١٦٩).

وهلك فرعون بدعوة موسى عليه السلام؛ قال سبحانه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

ووهَبَ ما وهب سليمانَ عليه السلام بغير حسابٍ بسؤال ربه الوهَّاب؛ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ * وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ * وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٥-٣٨].

وشفى اللَّه أيُّوب عليه السلام من مرضه بتضرُّعه؛ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وإذا تَنَعَّمَ النَّاسُ بطِيبِ الفراش فارفَعْ أَكُفَّ الضَّراعة إلى المولى في دُجَى الأسحار؛ فبدعوةٍ تتقلَّب الأحوال، فالعَقيمُ يُولَدُ له، والسَّقيمُ يُشفى، والفقيرُ يُرزق، والشَّقيُّ يَسعَد.



جَوامِعُ الدُّعَاءِ

الدُّعاء مشروعٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، ويُشرَعُ للمسلمِ أن يدعوَ ربَّه بكلِّ شيء ما لَمْ يكن إثماً؛ ومن الأدعية التي يُستحبُّ للمسلم الإكثار منها:

١ - سؤالُ اللَّه الإخلاص، وقد كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي صَالِحاً، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصاً، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئاً»[1].

٢ - سؤالُ اللَّه الهداية والسَّداد، قال النَّبيُّ ﷺ لعَلِيِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: «**قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ**» رواه مسلم[2].

٣ - الدُّعاء بالعلم النَّافع والعَملِ الصَّالح، فاللَّهُ سبحانه أَمَر نبيَّه ﷺ أن يسألَه الزِّيادة من العلم؛ فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

٤ - الدُّعاء بخيرَي الدُّنيا والآخرة، قال أنسٌ رضي الله عنه: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: **اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» متفق عليه[3].

وغير ذلك من الأدعية النَّبويَّة الجامعة.

---

(١) رواه أحمد في الزهد (ص٩٧)، رقم (٦١٧).

(٢) كتاب الذِّكْر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب التَّعوُّذ من شرِّ ما عَمِل ومن شرِّ ما لم يَعمَل، رقم (٢٧٢٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الدَّعَوَات، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً»، رقم (٦٣٨٩)، ومسلم، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب فضل الدُّعاء بـ«اللَّهمَّ آتنا في الدُّنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقِنَا عذاب النَّار»، رقم (٢٦٩٠).

الصَّدَقَةُ

فَضْلُ الصَّدَقَةِ

قسَّمَ اللَّهُ خَلْقَه إلى غنيٍّ وفقيرٍ، ولا تتمُّ مَصالِحُهُم إلَّا بِسَدِّ خَلَّةِ[1] الفقير؛ فأوجَبَ في فضول أموال الأغنياء ما يُسَدُّ به عَوَز الفقراء.

والمُؤمنُ السَّخيُّ قريبٌ من اللَّه ومِنْ خَلْقِه ومِنْ أهلِه، قريبٌ من الجَنَّة بعيدٌ عن النَّار، والبَخيلُ بعيدٌ من خَلْقِه، بَعيدٌ من الجَنَّة قريبٌ من النَّار، فجُودُ الرَّجل يُحبِّبه إلى أضدادِه، وبُخْلُه يُبغِّضُه إلى أولاده.

وأحبُّ الخَلْقِ إلى اللَّه: مَنِ اتَّصفَ بمقتضيات صفاتِه - ممَّا لم يختصَّ به الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا -، فهو سبحانه كريم يحِبُّ الكريم من عباده، وعالِم يُحِبُّ العلماء، ورَحِيم يحِبُّ الرُّحَمَاء؛ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكَرِيمُ المُتَصَدِّقُ يُعْطِيهِ الكَرِيمُ مَا لَا يُعْطِي غَيْرَهُ؛ جَزَاءً لَهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ»[2].

ومِنْ خير أعمال المُسْلِم: الصَّدقةُ على الفقراء وذَوِي الحاجات والكُرُبات؛ قال عُمَرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ذُكِرَ لِي أَنَّ الأَعْمَالَ تَتَبَاهَى، فَتَقُولُ الصَّدَقَةُ: أَنَا أَفْضَلُكُمْ»[3].

وهَدْيُ النَّبيِّ ﷺ: الإحسانُ والصَّدقةُ والسَّعيُ في تفريج هُمُوم المسلمين.

---

(١) الخَلَّةُ: الحَاجَةُ والفَقْرُ. الصحاح (٤/ ١٦٨٧).

(٢) الوابل الصيب (ص٣٦).

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب فضل الصَّدقة على غيرها من الأعمال (٤/ ٩٥)، رقم (٢٤٣٣).

وأَفضلُ الصَّدقةِ ما صَادَفت حاجةً مِن المُتصدَّق عليه، وكانت دائمةً مُستمرَّةً.

والبخيل محبوسٌ عن الإحسان، ممنوعٌ عن البِرِّ، ممنوعٌ من الانشراح، ضيِّقُ الصَّدرِ، صغير النَّفس، قليلُ الفرح، كثيرُ الهَمِّ والغَمِّ والحزن، لا يكاد تُقضى له حاجة، ولا يُعانُ على مطلوب.

فتصدَّقْ في يومك - ولو بشيءٍ يسيرٍ -؛ فأَفضلُ الصَّدقةِ جُهْدُ المُقِلِّ، وفي صبيحةِ كلِّ يومٍ يَنزلُ مَلَكان، «فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» متفق عليه[1].

والصَّدقةُ قَرضٌ مُستَرَدٌّ مُضاعَف، قال ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» رواه مسلم[2]، وقال ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فابذل للفقير بسخاء نَفْسٍ وجُود يَدٍ، وحُسْنِ ظنٍّ باللَّه بمضاعفةِ الثَّواب والمال.



(١) رواه البخاري، كتاب الزَّكاة، باب قول اللَّه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفاً، رقم (١٤٤٢)، ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب في المنفق والممسك، رقم (١٠١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كتاب البِر والصِّلَة والآداب، باب استحباب العفو والتَّواضع، رقم (٢٥٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثَمَرَاتُ الصَّدَقَةِ

الصَّدقةُ تَفْدِي العبد من عذاب اللَّه؛ فإنَّ ذُنوبَه وخطاياه تَقْتَضِي هلاكَه، فتَجِيءُ الصَّدقةُ تَفدِيهِ من العذاب.

ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ لَمَّا خطب في النِّساء يوم العيد: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تصدَّقْنَ - وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ -؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» متفق عليه[١]، وفي الصَّحِيحَيْن[٢]: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».

وهي تُطفئُ شُؤْمَ المعصية، يقول النَّبيُّ ﷺ لِمُعَاذٍ رضي الله عنه[٣]: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ**» رواه التِّرمذيُّ[٤].

والصَّدقةُ تَقِي مصارع السُّوء وتَدفَعُ البلاء، وتَحفَظُ المال وتَجْلِبُ الرِّزق، وتُفرِحُ القلب، وتُوجِبُ الثِّقةَ باللَّه وحُسنَ الظَّنِّ به، وتُزكِّي

---

(١) رواه البخاري، كتاب الزَّكاة، باب الزَّكاة على الأقارب، رقم (١٤٦٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب فضل النَّفقة والصَّدقة على الأقربين والزَّوج والأولاد والوالدين، ولو كانوا مشركين، رقم (١٠٠٠)، من حديث زينب - امرأة عبد اللَّه بن مسعود - رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري، كتاب الزَّكاة، باب اتَّقوا النَّار ولو بشِقِّ تَمْرَة والقليل من الصَّدقة، رقم (١٤١٧)، ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب الحثِّ على الصَّدقة ولو بشِقِّ تَمْرَة، أو كلمة طيِّبة وأنَّها حجاب من النَّار، رقم (١٠١٦)، من حديث عَدِي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) هو: أبو عبد الرَّحْمن معاذ بن جَبَل بن عَمْرو الخَزْرَجِيّ الأنصاريّ، أحد السَّبْعِين الَّذين شهدوا العَقَبَة من الأنصار، توفي سنة (١٨هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٤٠٢).

(٤) أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصَّلاة، رقم (٢٦١٦).

النَّفْسَ وتُنمِّيها، وتُحبِّبُ العبد إلى ربِّه، وتَسْتُر عليه كلَّ عَيْبٍ، وتَزيدُ في العُمُرِ، وتَدفَعُ عن صاحبها عذاب القبر، وتَكونُ عليه ظلّاً يوم القيامة، وتَشفَعُ له عند اللَّه تعالى، وتُهوِّنُ عليه شدائد الدُّنيا والآخرة، وتَدْعُوه إلى سائر أنواع البِرِّ، فلا تستعصي عليه.

وهي وِقايةٌ بين العبد وبين النَّار، والمُخلِص المُسِرُّ بها يَستظلُّ بها يوم القيامة، ويُدْعَى من باب الصَّدقة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ» متَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

والصَّدقةُ تَرفَعُ البلاء وتَنْفَرِجُ بها الكروب بإذن اللَّه؛ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لِلصَّدَقَةِ وَالإِحْسَانِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ البَلَاءِ وَدَفْعِ العَيْنِ وَشَرِّ الحَاسِدِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا إِلَّا تَجَارِبُ الأُمَمِ قَدِيماً وَحَدِيثاً لَكَفَى بِهِ، فَمَا يَكَادُ العَيْنُ وَالحَسَدُ وَالأَذَى يَتَسَلَّطُ عَلَى مُحْسِنٍ مُتَصَدِّقٍ، وَإِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كَانَ مُعَامَلاً فِيهِ بِاللُّطْفِ وَالمَعُونَةِ وَالتَّأْيِيدِ، وَكَانَتْ لَهُ فِيهِ العَاقِبَةُ الحَمِيدَةُ؛ فَالمُحْسِنُ المُتَصَدِّقُ فِي خَفَارَةِ[2] إِحْسَانِهِ وَصَدَقَتِهِ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ جُنَّةٌ وَاقِيَةٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ»[3].

ويقول أيضاً: «فَإِنَّ لِلصَّدَقَةِ تَأْثِيراً عَجِيباً فِي دَفْعِ أَنْوَاعِ البَلَاءِ - وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فَاجِرٍ أَوْ مِنْ ظَالِمٍ؛ بَلْ مِنْ كَافِرٍ -؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْفَعُ بِهَا

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصَّوم، باب الرَّيَّان للصَّائمين، رقم (٣٦٦٦)، ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب مَنْ جَمَع الصَّدقة، وأعمالَ البِرِّ، رقم (١٠٢٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: ذِمَّة. لسان العرب (٤/ ٢٥٣).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٢).

عَنْهُ أَنْوَاعاً مِنَ البَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، وَأَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ مُقِرُّونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ جَرَّبُوهُ»[1].

والمُتصدِّق كلَّما تصدَّق بصدقةٍ انشرح لها قلبُه، وانفسح بها صدرُه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّدَقَةِ إِلَّا هَذِهِ الفَائِدَةُ وَحْدَهَا لَكَانَ العَبْدُ حَقِيقاً بِالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا وَالمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]»[2].



(١) الوابل الصيب (ص٣١).
(٢) الوابل الصيب (ص٣٣).

لَا تَتَصَدَّقْ عَلَى الفَقِيرِ لِيَدْعُوَ لَكَ

يَرتَقِي العبدُ بالصَّدقةِ إذا أَخْلَص فيها للَّه، ولم يَرجُ بها نَوَالَ دعوةِ مَكْروبٍ، أو ثناءً أو طلبَ شُهْرَةٍ، أو تَحصيلَ مَطْمَعٍ مِن زُخرف الحياة، فإذا تَصدَّقْتَ على فقيرٍ فلا تَتصدَّقْ عليه لأجلِ أن يَدعوَ لك؛ بل أَنْفِقْ عليه ابتغاءَ مرضاة اللَّه، لتكون داخلاً تحتَ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩]: «وَمَنْ طَلَبَ مِنَ الفُقَرَاءِ الدُّعَاءَ أَوِ الثَّنَاءَ خَرَجَ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ؛ فَإِنَّ فِي الحَدِيثِ الَّذِي فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ[1]: (**مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**).

وَلِهَذَا كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذَا أَرْسَلَتْ إِلَى قَوْمٍ بِهَدِيَّةٍ تَقُولُ لِلرَّسُولِ: (مَا قَالُوا لَكَ؟ - تَقُولُ مَا يَقُولُونَ -، يَقُولُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، فَتَقُولُ عَائِشَةُ: وَفِيهِمْ بَارَكَ اللَّهُ؛ نَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا قَالُوا، وَيَبْقَى أَجْرُنَا لَنَا) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ[2].

(١) كتاب الزَّكاة، باب عطيَّة مَنْ سأل باللَّه، رقم (١٦٧٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم واللَّيلة، ما يقول لمَنْ أهدى له، رقم (١٠٠٦٢).

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (إِذَا أَعْطَيْتَ المِسْكِينَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَقُلْ: بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ)، أَرَادَ: أَنَّهُ إِذَا أَثَابَكَ بِالدُّعَاءِ فَادْعُ لَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ الدُّعَاءِ، حَتَّى لَا تَكُونَ اعْتَضْتَ(1) مِنْهُ شَيْئاً»(2).

وقال أيضاً: «وَمَنْ طَلَبَ مِنَ العِبَادِ العِوَضَ - ثَنَاءً أَوْ دُعَاءً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ - لَمْ يَكُنْ مُحْسِناً إِلَيْهِمْ لِلَّهِ»(3).

فبيَّن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الصَّدقةَ من أَجْلِ الدُّعاء لا يدخل صاحبها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]؛ فالمُسلمُ يَتصدَّق لوجه اللَّه، وما يَحصلُ بها - من تفريجٍ للكروبِ وإزالةٍ للْهُمُوم - فهي ثمرة من ثمار الصَّدقة لوجه اللَّه.



(١) اعْتاضَ: أي: أخَذ العِوَضَ. الصحاح (٣/ ١٠٩٣).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ١١٢).
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ٥٤).

طَاعَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ

لَا تَحْتَقِرْ أَيَّ عَمَلٍ

لا تَحْتَقِر أيَّ عملٍ صالحٍ تَعْمَلُه ولو قلَّ في عَيْنَيْك؛ فقد يكون سبب دخولك الجَنَّة، ولا تَسْتَصْغِر ارتكاب أيَّ معصيةٍ تَعْمَلُها؛ فقد تكون سبباً في دخولك النَّار، فاطرُقْ جميع أبواب الأعمال الصَّالحة؛ فلا تدري أيَّها يكون سبباً في سعادتك الأبديَّة، فقد دخل رجلٌ الجَنَّة بإزالة غُصْنِ شجرةٍ في الطَّريق - كما تقدَّم[١] -.

وأنت - أيُّها المسلم - قد تُلْقِي كلمةً، أو تُسْدِي نصيحةً لأحدٍ؛ فتكون سبباً في هِدَايَتِه، ويَسْعَد بها في الدُّنيا والآخرة، وتَسْعَد بها أنت على مَرِّ الدُّهور.

فلا تَحْتَقِرْ عملاً صالحاً - وإن صَغُر في عينك -؛ يقول ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» متفق عليه[٢]، وكلُّ عَملٍ صَالحٍ في الإسلام فهو عظيم؛ فأكثِر من الأعمال الصَّالحة المُتنوِّعة، واحرص على المُداوَمَة عليها - وإن قلَّ العَمَل في نوعٍ منها -؛ «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» متفق عليه[٣].

---

(١) (ص٢٤).

(٢) سبق تخريجه (ص٦٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب الرِّقاق، باب القَصْد والمُداوَمَة على العمل، رقم (٦٤٦٤)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدَّائم من قيام اللَّيل وغيره، رقم (٧٨٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

واحذَرْ جميع طُرُقِ العصيان؛ فلا تدري أيَّها تَهْوِي بك في النِّيران، فبِهِرَّة دخلت امرأة النَّار، يقول ﷺ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ؛ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ هِيَ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**» متفق عليه[(١)].

فاسْلُكْ طريقَ الكَرَم والمُرُوءَة، وحُسْنِ الخُلُقِ والبَشَاشَة، وخدمة الآخرين، والصِّدق في الحديث، والوفاء بالوعد، وحُسْنِ المُعامَلة المَالِيَّة، وكلِّ بابٍ من أبوابِ الخير.

يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَصَاحِبُ التَّعَبُّدِ المُطْلَقِ لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ فِي تَعَبُّدٍ بِعَيْنِهِ يُؤْثِرُهُ عَلَى غَيْرِهِ؛ بَلْ غَرَضُهُ تَتَبُّعُ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى أَيْنَ كَانَتْ، فَمَدَارُ تَعَبُّدِهِ عَلَيْهَا، فَهُوَ لَا يَزَالُ مُتَنَقِّلاً فِي مَنَازِلِ العُبُودِيَّةِ؛ كُلَّمَا رُفِعَتْ لَهُ مَنْزِلَةٌ عَمِلَ عَلَى سَيْرِهِ إِلَيْهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا حَتَّى تَلُوحَ لَهُ مَنْزِلَةٌ أُخْرَى، فَهَذَا دَأْبُهُ فِي السَّيْرِ حَتَّى يَنْتَهِيَ سَيْرُهُ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ العُلَمَاءَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ العُبَّادَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ المُجَاهِدِينَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ الذَّاكِرِينَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ المُتَصَدِّقِينَ المُحْسِنِينَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ»[(٢)].



(١) رواه البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم (٢٣٦٥)، ومسلم، كتاب السَّلام، باب تحريم قتل الهِرَّة، رقم (٢٢٤٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) مدارج السالكين (١/ ١١١).

الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الآخِرَةِ

عُمرُك - أيُّها الإنسان - في هذه الحياة محصورٌ، ودرجتُك في الآخرة مَبنيَّةٌ على هذه الأيَّام الَّتي تعيشها، فإذا قدَّمتَ لنَفْسِك صالحاً كنتَ من السُّعداء، وإذا أَهْمَلتَ نفسك في هذه الحياة، وفرَّطْتَ في ساعاتك؛ ندِمْتَ في الآخرة، واللَّهُ ﷻ ذَكَر أنَّك مَرْهُونٌ في الآخرة بعَمَلِك في الدُّنيا؛ قال سبحانه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

ولا تَعْلَم متى يزورك مَلَكُ الموت، وإذا نُزِعَت رُوحُك فإنَّ أقاربَك وأَحبابَك ومَنْ حَوْلك - بعد دفنك - في شُغُلٍ في هذه الحياة، وسَعْيٍ في الدُّنيا حَثِيث؛ ممَّا يَجْعَلُهُم في غفلة عن الدُّعاء لك بعد موتك.

وهذه سُنَّة اللَّه في الحياة بالنِّسيان؛ فأنت - مثلاً - لا تدعو لوالد جَدِّك، وهو ليس بعيداً عنك، مع أنَّه سَببٌ في وجودك في الحياة، وسيأتي الزَّمان الَّذي يَنْسَى أحفادك - ومَنْ دُونهم - الدُّعاءَ لك.

فإذا تقرَّر ذلك عندك، وعرفتَ أنَّ النَّاسَ في غفلةٍ عنك بعد موتك؛ فأَكثِرْ من عمل الصَّالحات، واطرُقْ كلَّ بابِ خيرٍ في الدُّنيا؛ لعلَّ ذلك يُقرِّبُك عند ربِّك في الآخرة.



الإِكْثَارُ مِنَ الطَّاعَاتِ

ثمرةُ العِلْمِ العَمَلُ، واللَّذَّةُ في الحياة بالإكثار من عمل الصَّالحات، وآيةُ الإخلاص: الإكثارُ من الطَّاعات، وزيادةُ المنازل في الجَنَّة على قدر التَّزوُّد من الفضائل.

وأَفاضلُ البَشَر هم القُدْوَة في الإكثار من الطَّاعات؛ فإبراهيمُ عليه السلام مَدَحه اللَّه بكثرة تعبُّده له؛ فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]، فوَصَفَه بالقُنُوت؛ وهو: دوامُ الطَّاعة.

وداود عليه السلام: «كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْماً، وَيُفْطِرُ يَوْماً» متفق عليه[1].

وأثنى اللَّهُ على زَكريَّا وزَوجتِه ويحيى بقوله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكان العُلَمَاءُ الرَّبَّانيُّون يُكثِرُون من التَّعبُّد للَّه؛ يقول ابن القيِّم رحمه الله: «وَحَضَرْتُ شَيْخَ الإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ مَرَّةً؛ صَلَّى الفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى إِلَى قَرِيبٍ مِنِ انْتِصَافِ النَّهَارِ، ثُمَّ التَفَتَ، وَقَالَ: هَذِهِ

---

(١) رواه البخاري، أبواب التَّهجُّد، باب مَنْ نام عند السَّحَر، رقم (١١٣١)، ومسلم، كتاب الصِّيَام، باب النَّهي عن صوم الدَّهر لمَنْ تضرَّر به، أو فَوَّت به حقّاً، رقم (١١٥٩)، من حديث عبد اللَّه بن عَمْرو رضي الله عنهما.

غَدْوَتِي، وَلَوْ لَمْ أَتَغَدَّ هَذَا الغَدَاءَ لَسَقَطَتْ قُوَّتِي»[١].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن نفسه: «إِنَّهُ لَيَقِفُ خَاطِرِي فِي المَسْأَلَةِ وَالشَّيْءِ أَوِ الحَالَةِ الَّتِي تُشْكِلُ عَلَيَّ؛ فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى أَلْفَ مَرَّةٍ - أَوْ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلَّ - حَتَّى يَنْشَرِحَ الصَّدْرُ، وَيَنْحَلَّ إِشْكَالُ مَا أُشْكِلَ، - قَالَ -: وَأَكُونُ إِذْ ذَاكَ فِي السُّوقِ، أَوِ المَسْجِدِ، أَوِ الدَّرْبِ، أَوِ المَدْرَسَةِ، لَا يَمْنَعُنِي ذَلِكَ مِنَ الذِّكْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ إِلَى أَنْ أَنَالَ مَطْلُوبِي»[٢].

وقال ابنُ كثيرٍ عن ابن القيِّم رَحِمَهُمَا اللَّهُ: «وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي زَمَانِنَا أَكْثَرَ عِبَادَةً مِنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ طَرِيقَةٌ فِي الصَّلَاةِ يُطِيلُهَا جِدّاً، وَيَمُدُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَيَلُومُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ؛ فَلَا يَرْجِعُ وَلَا يَنْزِعُ عَنْ ذَلِكَ»[٣].

والطَّاعةُ نورٌ يُقذَف في الصُّدور، فأَكثِرْ من التَّعبُّد للَّه والخضوع له؛ فهي نِعْمَ العَوْن على تحقيق المُبْتَغى، وعليك الإكثار مِنْ ذِكر اللَّه، وتلاوةِ كتابِه والقيامِ به في ظُلَمِ اللَّيل، فالقلبُ إذا صفا أثَّر، وإذا تكدَّر أضرَّ.



(١) الوابل الصيب (ص٤٢).

(٢) العقود الدرية في مناقب ابن تيمية (ص٢١).

(٣) البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣).

مَا العِبَادَاتُ الَّتِي أُكْثِرُ مِنْهَا؟

أَفضلُ الأعمال بعد الفرائض هي النَّوافل؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ[1] بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» رواه البُخاريُّ[2].

ومن أَفضلِ النَّوافل الَّتي يَفعَلُها العبد:

١ - قيامُ اللَّيل:

نوافلُ الصَّلوات من أزكى الأعمال عند اللَّه، وساعات اللَّيلِ ثمينةٌ، وقيامُه من نُعُوتِ الصَّالحين المُبشَّرين بجنَّة النَّعيم، وهو دليلٌ على رُجحانِ العقل والإيمان، وقُربةٌ إلى ربِّ العالمين، يقول النَّبيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ» رواه ابن ماجه[3].

---

(١) أي: أعلمته. فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٤٢).

(٢) كتاب الرِّقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كتاب الأطعمة، باب إطعام الطَّعام، رقم (٣٢٥١)، من حديث عبد اللَّه بن سَلَام رضي الله عنه.
وابن ماجه هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن يزيد بن مَاجَه الرّبعي بالولاء، القَزْوينيّ، وُلد سنة (٢٠٩هـ)، وتوفي رحمه الله سنة (٢٧٣هـ). تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ١٥٥).

ومِن محاسن أهل الإيمان: القيامُ للَّه في الظُّلَمِ ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، وقد تنافس الصَّالحون صلاةً وتَعبُّداً في ظَلمائِه؛ فوجدوا بذلك لذَّة في نفوسهم لا تُضاهِيها لذَّات الدُّنيا؛ يقول أبو سليمان الدَّارانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وَاللَّهِ لَوْلَا قِيَامُ اللَّيْلِ مَا أَحْبَبْتُ الدُّنْيَا»[٢].

ولم يكن النَّبيُّ ﷺ يَدَعُ قيامَ اللَّيلِ في سَفَرٍ أو حَضَرٍ، وكان يُصلِّيه قائماً وقاعداً وعلى رَاحِلَتِه في أسفاره، ولو إلى غير القِبْلَة[٣].

وكان الصَّالحون يعيبون على مَنْ تَرَكَ قيام اللَّيل؛ يقول الحَسَن البَصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «مَا تَرَكَ أَحَدٌ قِيَامَ اللَّيْلِ إِلَّا بِذَنْبٍ أَذْنَبَهُ»[٥].

وذلك نَابعٌ مِنْ وَصيَّة النَّبيِّ ﷺ لعبد اللَّه بن عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[٦] حيث قال له: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ**

(١) هو: أبو سليمان عبد الرَّحْمن بن أحمد الدَّارانيّ، ولد سنة (١٤٠هـ)، وتوفي سنة (٢١٥هـ). سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢).

(٢) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي (ص٩٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب الوتر، باب الوتر في السَّفَر، رقم (١٠٠٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقَصْرِها، باب جواز صلاة النَّافلة على الدَّابَّة في السَّفَر حيث توجَّهَت، رقم (٧٠٠)، من حديث ابن عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البَصريّ، التَّابعيُّ الإمام، وُلد سنة (٢١هـ)، وتوفي سنة (١١٠هـ). سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣).

(٥) نزهة المجالس ومنتخب النفائس (١/ ١٢٠).

(٦) هو: عبد اللَّه بن عُمَر بن الخطَّاب بن نُفَيْل العَدويّ القُرشيّ، وُلد سنة (٣من البعثة)، وتوفي سنة (٧٣هـ). الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٢٩٠).

اللَّيْلِ؛ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً» متفق عليه[(١)].

وقال لعبد اللَّه بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما[(٢)]: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» متفق عليه[(٣)].

ومِنْ شرف العُبوديَّة: التَّعبُّد ليلاً، والنَّفْسُ لا تَشرُف إلَّا بعبوديَّتها للَّه، ولا يَليقُ بشابٍّ مستقيم أن يَدَع قيام اللَّيل - ولو نصف ساعة قُبَيْلَ الفَجْر - يُناجِي فيها ربَّه زَمَن فتح أبواب السَّماء، ولم يكن السَّلَف يَدَعُون قيام السَّحَر؛ يقول طاوس رحمه الله[(٤)]: «مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَداً يَنَامُ فِي السَّحَرِ»[(٥)].

٢ - الإِكْثَارُ مِنَ الذِّكْرِ:

ذِكْرُ اللَّه مِيزانُ الرِّفعةِ والتَّكريم، وهو خيرُ ما يُعطَّر به اللِّسان،

---

(١) رواه البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عبد اللَّه بن عُمَر بن الخطَّاب رضي الله عنهما، رقم (٣٧٣٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي اللَّه تعالى عنهم، باب من فضائل عبد اللَّه بن عُمَر رضي الله عنهما، رقم (٢٤٧٩).

(٢) هو: أبو مُحمَّد عبد اللَّه بن عَمْرو بن العاص السَّهميّ القُرشيّ، أسلم قبل أَبِيهِ، توفي لَيالِي الحَرَّة، في ولاية يزيد بن معاوية، سنة (٦٣هـ)، وقيل: سنة (٦٧هـ)، وقيل: غير ذلك. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٥٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب التَّهجُّد، باب ما يكره مَنْ ترك قيام اللَّيل لِمَنْ كان يقومه، رقم (١١٥٢)، ومسلم، كتاب الصِّيام، باب النَّهي عن صوم الدَّهر لِمَنْ تضرَّر به أو فوت به حقّاً، رقم (١١٥٩)، من حديث عبد اللَّه بن عَمْرو رضي الله عنهما.

(٤) هو: أبو عبد الرَّحمن طاوس بن كيسان الفارسيّ، ثمَّ اليَمنيّ، الجنديّ، توفي سنة (١٠٦هـ). سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٩).

(٥) مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ٤٢٠).

وهو بابٌ مَفتوحٌ بين العبد وربِّه ما لم يُغْلِقْه العبد بغَفْلَتِه؛ يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّهُ - أَي: الذِّكْرَ - يُورِثُهُ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الذِّكْرِ إِلَّا هَذِهِ وَحْدَهَا؛ لَكَفَى بِهَا فَضْلاً وَشَرَفاً»(١).

بالإكثار من الذِّكْرِ يَسْمُو العبدُ عند ربِّه، ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ كان يَذكُر اللَّه على كلِّ أحيانه(٢).

وبالذِّكر سعادةُ القلب، والأُنسُ باللَّه؛ يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَالَ لِي مَرَّةً شَيْخُ الإِسْلَامِ: لَا أَتْرُكُ الذِّكْرَ إِلَّا بِنِيَّةِ إِجْمَامِ نَفْسِي وَإِرَاحَتِهَا لِأَسْتَعِدَّ بِتِلْكَ الرَّاحَةِ لِذِكْرٍ آخَرَ»(٣).

٣ - تِلَاوَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ:

الكتابُ العزيزُ عُمدةُ المِلَّة، وينبوعُ الحكمة، وآيةُ الرِّسالة، ونورُ الأبصار والبصائر، بتلاوتِه والعملِ به يعلو الشَّأن، ويَعلُو القدر، ويَزيدُ الإيمان.

والقُرآنُ العظيمُ أَصلُ العلوم وأُسُّهَا، ومنه تُؤخَذُ الأخلاق والآداب، وحِفظُ كتاب اللَّه حِفظٌ للعبد - بإذن اللَّه - من الشُّرُور والفِتَن، وحِصنٌ من الشُّبُهَات والشَّهَوَات؛ فاجعل تِلَاوةَ القُرآنِ على لِسانِك مُتدبِّراً لها بقَلْبِك.

---

(١) الوابل الصيب (ص٤٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب ذِكْر اللَّه تعالى في حال الجَنَابة وغيرها، رقم (٣٧٣)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٣) الوابل الصيب (ص٤٢).

٤ - صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ:

ربُّنا ﷻ مُتَّصفٌ بالشُّكر، يُعطِي على العَمَل اليَسِير الأجر الجزيل، وأُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ أُمَّةٌ مَرْحُومَة؛ تَعملُ قليلاً في عُمُرٍ قصيرٍ وتُجْزَى كثيراً، وتَسْبِقُ الأُممَ في الآخرة.

ومِنْ ذلك: أنَّ صِيَامَ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ كصيامِ جميع الشَّهر، كلُّ يومٍ بعشرة أيَّام؛ كرماً من اللَّه ومِنَّةً، وصِيَامها هي وَصيَّة النَّبيِّ ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه[(١)]؛ يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ» متفق عليه[(٢)].



---

(١) هو: أبو هريرة عبد الرَّحْمن بن عامر بن عبد ذي الشري الدَّوْسيّ، إسلامه بين الحُدَيبيَّة وخَيْبَر، توفي سنة (٥٧هـ). الإصابة في تمييز الصحابة (٧/٣٤٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب التَّهجُّد، باب صلاة الضُّحى في الحَضَر، رقم (١١٧٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضُّحَى، وأنَّ أقلَّها ركعتان، وأَكْمَلَها ثمانِ ركعاتٍ، وأَوْسَطَها أَربعُ ركعات أو ستٌّ، والحثّ على المحافظة عليها، رقم (٧٢١).

شُكْرُ اللّٰهِ

أَهَمِّيَّةُ الشُّكْرِ

ربُّك أَغْدَقَ عليك مِن نِعَمِه العظيمة، وأَجْزَلَ عليك من عطاياه الجسيمة؛ لِتَشكُرَه عليها، والشُّكرُ هو الغاية من خلقه وأمره؛ ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وأخبر سبحانه أنَّ مَنْ لم يَشكُرْه لم يكنْ من أهل عبادتِه؛ ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقد أثنى اللَّه على أوَّل رَسُولٍ بَعَثَه إلى الأرض بالشُّكر؛ فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وأَمَرَ عبدَه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يتلقَّى ما آتاه من النُّبوَّة والتَّكْلِيم بالشُّكر؛ فقال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وأَثْنَى على خَلِيلِه إبراهيم بشُكْر نِعَمه؛ فقال عنه: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١].

وأَمَرَ اللَّه به آل داود؛ فقال: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ﴾ [سبأ: ١٣].

وأَمَرَ اللَّه رسولَه مُحمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشُّكْر؛ فقال له: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

وأوَّلُ وَصيَّة وصَّى بها اللَّه تعالى الإنسانَ: الشُّكْر له وللوَالِدَيْن؛ فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وبالشُّكر أَمَر الأنبياءُ أَقْوَامَهُم؛ فقال إبراهيم لقومه: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وأفضلُ الأدعية: دُعاءُ الرَّبِّ العَوْنَ على مرضاتِه بشكرِ نِعَمِه وعبادتِه؛ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ؛ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ العَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الفَاتِحَةِ فِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]»[١].

ولـمَّا عَرَفَ عَدوُّ اللَّهِ إبليسُ قدْرَ مقام الشُّكْر، وأنَّه من أَجَلِّ العبادات وأعلاها؛ جعل غَايتَه السَّعيَ في قطع النَّاس عنه فقال: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

والشَّاكِرُون هم قِلَّة في الخَلْقِ؛ فكُنْ مع تلك الثُّلَّةِ القَلِيلَةِ المُبارَكة، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وكلُّ نِعمةٍ لا تُقرِّبُ من اللَّه فهي بَلِيَّة، قال الفُضَيْل رَحِمَهُ اللهُ: «عَلَيْكُمْ بِمُلَازَمَةِ الشُّكْرِ عَلَى النِّعَمِ؛ فَقَلَّ نِعْمَةٌ زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ»[٢]؛ فإذا رَأَيْتَ ربَّك يُوالِي عليك نِعَمه - وأَنتَ تَعْصِيه - فاحْذَرْه.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٠٠).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/ ٤٤٦).

والعبد إذا كانت له عند اللَّه منزلة فحَفِظَها وبَقِيَ عليها، ثمَّ شَكَرَ اللَّه على ما أعطاه؛ آتاه اللَّه أشرف منها، وإذا ضيَّع الشُّكر اسْتَدْرَجَه اللَّه.

والنِّعمَةُ مَوْصُولةٌ بالشُّكر، والمَزيدُ يَتعلَّق بالشُّكر، ومَنْ رُزِق الشُّكرَ رَزَقه اللَّه الزِّيادة؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وبِشُكرِ اللَّه وطاعتِه تَتفتَّح للعبد أبوابُ الدُّنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].



كَيْفَ أَشْكُرُ نِعَمَ اللَّهِ؟

الشُّكرُ يكونُ بقلبِك ولسانِك وجوارحِك؛ فشُكرُ النِّعَم بالقلب: يكون بنسبتِها إلى بارئها، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وشُكرها باللِّسان: يكون بالإكثار من الحَمْد لمُسْدِيهَا سبحانه، فالحَمْد رأس الشُّكْر وأوَّله، وهو من أفضل ما تَحرَّك به اللِّسان؛ قال ﷺ: «وَالحَمْدُ للَّهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ» رواه مسلم[١].

وشُكرُها بالجوارح: يكون بالاستعانة بها على مرضاة اللَّه، ومنع استخدامِها في مَساخِطه ومعاصيه، وأَسعَدُ الخَلْقِ مَنْ جعل النِّعَمَ وسائلَ إلى اللَّه والدَّار الآخرة، وأشقاهم مَنْ تَوصَّل بنِعَمِ اللَّه إلى هواه ونَيْلِ ملذَّاته.

وكُنْ قَنُوعاً بما رزقك اللَّه تَكُنْ أَشْكَر النَّاس، وتَذَكَّر أنَّ شُكرَ نِعَمِ اللَّه عبادةٌ من أجَلِّ العبادات، قال ﷺ: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ مِثْلُ الصَّائِمِ الصَّابِرِ» رواه الحاكم[٢].



---

(١) كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم (٢٢٣)، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) في المستدرك، كتاب الأطعمة (٤/ ١٥١)، رقم (٧١٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
والحاكم هو: أبو عبد اللَّه الحاكم مُحمَّد بن عبد اللَّه بن مُحمَّد، النَّيسابوريّ، الشَّافعيّ، ولد سنة (٣٢١هـ)، وتوفي سنة (٤٠٥هـ). طبقات الفقهاء الشافعية (١/ ١٩٨)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٢).

ذِكْرُ اللّٰهِ

أَهَمِّيَّةُ الذِّكْرِ

الذِّكرُ يَجلِبُ الفَرَحَ والسُّرُورَ والرِّزقَ والمَهَابة، ويُوجِب مُراقبةَ اللَّه، وكثرةَ عبادته والإنابةَ إليه والقُربَ منه، وهو شفاءٌ لِما يَرِد من أدواء؛ يقول ابن عَوْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «ذِكْرُ اللَّهِ دَوَاءٌ، وَذِكْرُ النَّاسِ دَاءٌ»(٢)، وجاء رجلٌ إلى الحَسنِ البَصريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فقال له: «أَشْتَكِي قَسْوَةَ قَلْبِي، فَقَالَ: أَذِبْهُ بِالذِّكْرِ»(٣).

وبالذِّكر تُرفَعُ الدَّرجات وتُغفرُ السَّيِّئات، وتُستدفَعُ الآفات، وتُسْتكشَفُ الكُرُبات، وتَهونُ به على المُصاب المُلِمَّاتُ، به انشراحُ الصَّدر وطمأنينةُ القلب ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وهو وَصيَّة رسولِ اللَّه ﷺ لِمَنْ طَلَب منه أن يُوصِيَه؛ «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**» رواه التِّرمذيُّ(٤).

بذكر اللَّه تَحْيا القلوب؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**» رواه البُخاريُّ(٥).

ومَنْ عَرَف عظمةَ اللَّه أكثَرَ مِن ذِكرِه، والإكثارُ علامة الصِّدق مع اللَّه.



(١) هو: أبو عون عبد اللَّه بن عون بن أرطبان المُزَنيّ مولاهم البَصريّ، ولد سنة (٦٦هـ)، وتوفي سنة (١٥١هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٦٤).

(٢) تاريخ الإسلام (٤/ ١٠١).

(٣) روضة المحبين (ص١٦٧).

(٤) أبواب الدَّعوات، باب ما جاء في فضل الذِّكر، رقم (٣٣٧٥)، من حديث عبد اللَّه بن بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) كتاب الدَّعوات، باب فضل ذكر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، رقم (٦٤٠٧)، من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَفْضَلُ الذِّكْرِ

أفضلُ الذِّكر قِراءةُ القرآن الكريم، وقد جاءت السُّنَّة النَّبويَّة ببيانِ أذكارٍ مُتنوِّعة؛ ومن أفضل تلك الأذكار ما يلي:

«أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» رواه مسلم[1].

و«لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ: كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ» متفق عليه[2].

و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ» رواه التِّرمذيُّ[3].

و«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ» متفق عليه[4].

---

(١) كتاب الآداب، باب كراهة التَّسْمِيَة بالأسماء القَبِيحَة وبنافع ونحوه، رقم (٢١٣٧)، من حديث سَمُرَة بن جندب رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب الدَّعوات، باب قول: لا حول ولا قوَّة إلا باللَّه، رقم (٦٤٠٩)، ومسلم، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصَّوت بالذِّكر، رقم (٢٧٠٤)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أبواب الدَّعوات، باب، رقم (٣٤٦٤)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنُّذُور، باب إذا قال: واللَّه لا أتكلَّم اليوم فصلَّى أو قرأ أو سبَّح أو كبَّر، رقم (٦٦٨٢)، ومسلم، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب فضل التَّهليل والتَّسبيح والدُّعاء، رقم (٢٦٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«وَالحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ: تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ» رواه مسلم[(١)].

وعن سَعْدِ بن أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)] قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ» رواه مسلم[(٣)].



(١) كتاب الطَّهارة، باب فضل الوضوء، رقم (٢٢٣)، من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هو: سعد بن أبي وقاص - واسم أبي وقاص: مالك - بن أُهيب الزُّهريّ القُرشيّ، كان سابع سبعة في الإسلام، وهو أحد السِّتَّة الَّذين جعل عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيهم الشُّورى، توفي سنة (٥٤هـ)، وقيل: سنة (٥٥هـ)، وقيل: غير ذلك. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٠٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٦٢).

(٣) كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب فضل التَّهليل والتَّسبيح والدُّعاء، رقم (٢٦٩٨).

الِاسْتِغْفَارُ

الاستغفار سببٌ لغُفْرانِ الذُّنوب، ودُخولِ الجنَّات، ودَفعِ البلاء، وزيادةِ الأموال والبنين؛ قال سبحانه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وهو سببٌ للحياة السَّعيدة ووُفورِ الخيرات؛ قال ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

وبه تزيدُ القوَّة؛ قال هودٌ لقومِه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

وهو سببٌ لنزول الرَّحْمة من السَّماء؛ قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].

والاستغفارُ مُزيلٌ للخطايا وشُؤمِ العصيان؛ يقول قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ

---

(١) هو: أبو الخطَّاب قتادة بن دِعَامَة بن قتادة السَّدُوسيّ، وُلد سنة (٦٠هـ)، وتوفي سنة (١١٨هـ). سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩)، تقريب التهذيب (١/ ٤٥٣).

هَذَا القُرْآنَ يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، فَأَمَّا دَاؤُكُمْ: فَالذُّنُوبُ، وَأَمَّا دَوَاؤُكُمْ: فَالِاسْتِغْفَارُ»[١].

وكان النَّبيُّ ﷺ يُكثِرُ من الاستغفار؛ قال ﷺ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي**[٢]**، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ**» رواه مسلم[٣].

قال أبو المِنْهَال رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «مَا جَاوَرَ عَبْدٌ فِي قَبْرِهِ مِنْ جَارٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ»[٥].

فأَكثِرْ من الاستغفار في كلِّ حينٍ؛ يَصلُح لك أَمرُ دينِك ودنياك.



(١) جامع العلوم والحِكم (٢/ ٤١٥).

(٢) أي: يُلبس عليه ويُغطَّى. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ١٤٢).

(٣) كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم (٢٧٠٢)، من حديث الأغرِّ المُزَنيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) هو: عبد الرَّحْمن بن مُطْعِم البُناني البَصريّ المَكِّيّ، توفي سنة (١٠٦هـ). تقريب التهذيب (ص٣٥٠).

(٥) جامع العلوم والحِكم (٢/ ٤١٥).

إِصْلَاحُ القَلْبِ

اجْتِنَابُ المَعَاصِي

القلبُ يَتقلَّب في هذه الحياة بين القَسْوَة واللِّين، فإذا تَوارَدَتْ عليه المعاصي قَسَا، وإذا أكثر العبد من الطَّاعات رقَّ الفؤاد.

وللخطايا تأثيراتٌ قَبيحةٌ إِنْ أسرَعَت، وإن اجتَمَعَت آذَتْ، فَشَرارةٌ رُبَّمَا أَحْرَقَتْ بلداً، والخطايا مُطَوَّقةٌ في أعناقِ الرِّجال، والهلاكُ في الإصرار عليها، وبالمعاصي تَزولُ النِّعَم، وتَحُلُّ النِّقَم، وبالمعصية تَتعسَّرُ الأمور على العاصي؛ فما يتوجَّه لأمرٍ إلَّا ويَجِدُه مُغْلَقاً دونَه، أو مُتعسِّراً عليه تحقيقه.

والمعصيةُ تَمْحَقُ بركةَ العُمُر، والَّذي يفوت بارتكاب المعصية من خيري الدُّنيا والآخرة أضعاف ما يحصل للعبد من السُّرُور واللَّذَّة بها، وعقوبة الذَّنْب تَحُلُّ - ولو بعد حينٍ -؛ قال ﷻ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

وقد أُهبِطَ إبليسُ من منزل العِزِّ بتركِ سجدةٍ واحدةٍ أُمر بها؛ قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٢-١٣].

وأُخرِج آدمُ من الجنَّة بأكلةٍ تناولَها؛ قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٥-٣٦].

و«دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا»[١]، و«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ[٢] فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[٣].

وهكذا الذُّنوب تُورِدُ المَهَالك؛ فكُنْ خائفاً من ذنْبِك، ولا تَأمَن العقوبة؛ فإنَّ هَوَانَ الذَّنب على العاصي من علامة الهلاك، وكلَّما صَغُرَ الذَّنبُ في عين العبد عَظُمَ عند اللَّه.

فإيَّاك ومُحقَّرَات الذُّنوب، فإنَّهنَّ إذا اجتمعن على الرَّجُل أَهلَكْنَه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ» رواه أحمد[٤].

والذَّنْب يَعظُم ويَحدُق خَطرُه إذا جَاهَرَ به العبد، أو اسْتَصْغَره، أو فَرِحَ به، أو تَهَاوَن بسِتْر اللَّه عليه، يقول أَنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ» رواه البُخاريُّ[٥].

ولمَّا نزل الموتُ بمُحمَّدِ بن المُنْكَدِر رحمه الله[٦] بَكَى، فقيلَ له: «مَا

(١) رواه البخاري، كتاب الشُّرب والمساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم (٢٣٦٥)، ومسلم، كتاب البرِّ والصِّلَة والآداب، باب تحريم تعذيب الهِرَّة ونحوها من الحيوان الَّذي لا يُؤْذِي، رقم (٢٢٤٢)، من حديث عبد اللَّه بن عُمَر رضي الله عنهما.

(٢) أي: يَغُوصُ في الأرض حين يُخْسَف به، والجَلْجَلَة: حَرَكَةٌ مَعَ صَوْتٍ. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٨٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٨٥)، من حديث ابن عُمَر رضي الله عنهما.

(٤) في المسند، رقم (٢٢٨٠٨)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٥) كتاب الرِّقاق، باب ما يتقى من مُحقَّرات الذُّنوب، رقم (٦٤٩٢).

(٦) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن المُنْكَدِر بن عبد اللَّه التَّيميّ القُرشيّ، ولد سنة (بضع و٣٠هـ)، توفي سنة (١٣٠هـ). سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٣).

يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَبْكِي لِذَنْبٍ أَعْلَمُ أَنِّي أَتَيْتُهُ؛ وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ أَذْنَبْتُ ذَنْباً حَسِبْتُهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ»[١].

والذَّنْبُ لا يَقتَصِرُ على ارتكاب المناهي فحَسْب؛ بل إنَّ التَّقصيرَ في أداء الواجب من جملةِ المَآثِم؛ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ يَكُونُ مِنْ تَرْكِ الوَاجِبَاتِ وَفِعْلِ المُحَرَّمَاتِ، وَالأَوَّلُ يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ»[٢].



(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٨١).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ٦٧٠).

البُعْدُ عَنِ الفِتَنِ

جاء الإسلام بالأمر بصفاءِ المُعتقَد ونَقاءِ القلب وتَطْهِيرِه مِنْ أَدْرَان القَوَادح، ونَهَى عن تلويث القلب بالشُّبُهات، أو تَدنِيسِه بالشَّهَوَات، وفي زَمَنِ البُعْدِ عن مِشْكَاةِ النُّبوَّة تزداد الحاجة إلى التَّمسُّك بينابيع الدِّين؛ يقول ﷺ: «**لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ**» رواه البُخاريُّ[1].

ومِنْ آثارِ الفِتَن: أنَّ مَنِ اشْرَأَبَّ[2] إليها بعُنُقِه أَصابَه من لَوْثَتِها؛ يقول النَّبيُّ ﷺ عن الفتن: «**وَمَنِ اسْتَشْرَفَ** - أَيْ: تَطَلَّعَ - **إِلَيْهَا؛ أَخَذَتْهُ**» رواه البُخاريُّ[3].

والإسلامُ الحنيفُ جاء بلُزومِ النُّورَيْن؛ الكِتابِ والسُّنَّة، ونَهَى عن ضدِّهِما ممَّا يُورثُ القلبَ الفسادَ.

والشُّبهةُ إذا وَرَدَتْ على القلب ثَقُلَ استِئْصَالُها، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِذَا تَعَرَّضَ العَبْدُ بِنَفْسِهِ إِلَى البَلَاءِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ»[4].

---

(١) كتاب الفتن، باب لا يأتي زمانٌ إلا الذي بعده شرٌّ منه، رقم (٧٠٦٨)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: رَفَع. لسان العرب (١/ ٤٩٣).

(٣) كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خيرٌ من القائم، رقم (٧٠٨٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٥٧٧).

والتَّقصيرُ في أداء الواجبات، واللَّهَثُ وراء المنكرات، والاعتمادُ في السُّلوك على الفضائيَّات؛ يُورِثُ المَهالِك.

والقلبُ إذا أظلم بكثرة المعاصي ثَقُلَ عليه أداء المعروف، وسَهُلَ عليه قَبُول المنكر، وفي زمن تنزُّل الوحي وملازمة الصَّحابة للنَّبيِّ ﷺ كان عليه الصلاة والسلام يخشى عليهم من الفِتَن؛ فلمَّا رأى مع عُمَرَ بنِ الخطَّاب قِطْعةً من التَّوراة تَلوَّن وَجهُهُ ﷺ، وقال: «أَمُتَهَوِّكُونَ[1] فِيهَا يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيّاً مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» رواه أحمد[2].

ومَنْ تعرَّض للشُّبُهات والشَّهَوَات، ثمَّ طلب إصلاح القلب؛ رَامَ مُمْتَنِعاً، ورُبَّ عثرةٍ أَهلَكَتْ، ورُبَّ فارطٍ لا يُستدرك، والنَّفْسُ طامعة إذا أَطْمَعْتَها؛ فأَلْجِمْهَا بلِجَامِ الأوامر والنَّواهي، ومَنْ صَابَرَ الهَوَى أَيْنَعَتْ له الثَّمرات.

فابتعِدْ عن أسباب الفِتَن ومَوَارِدِها؛ فإنَّ قُربَها مِحْنةٌ لا يَكادُ صاحبُها يَسْلَم، ومَنْ حَامَ حَوْل الحِمَى يُوشِكُ أن يَقَعَ فيه، وحَصِّنْ نَفْسَك بزادِ العِلْم، وانتَقِ صُحبَةَ الأخيار، واسلُكْ مَسلكَ الحقِّ، وانهَجْ منهَجَ الرُّشْد، واجتهِدْ في المُحافَظَة على عقيدتِك.

(١) أي: أَمُتَحيِّرُون. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٥٠٤).

(٢) في المسند، رقم (١٥١٥٦)، من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما.

وقد كان العُلَماءُ يُوصِي بعضُهم بعضاً بالبُعْدِ عن مواطن الفِتَن، يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَيْشُ شَهَوَاتِ الغَيِّ، وَجَيْشُ شُبُهَاتِ البَاطِلِ، أَيُّمَا قَلْبٍ صَغَى إِلَيْهَا وَرَكَنَ إِلَيْهَا؛ تَشَرَّبَهَا وَامْتَلَأَ بِهَا؛ فَيَنْضَحُ لِسَانُهُ وَجَوَارِحُهُ بِمُوجَبِهَا، فَإِنْ أُشْرِبَ شُبُهَاتِ البَاطِلِ تَفَجَّرَتْ عَلَى لِسَانِهِ الشُّكُوكُ وَالشُّبُهَاتُ وَالإِيرَادَاتُ»[1].



---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

تَذَكُّرُ المَوْتِ وَزِيَارَةُ المَقَابِرِ

على العاقل أنْ يَذكُرَ الموت في كلِّ يومٍ وليلةٍ مِراراً ذِكراً يُبَاشِرُ به قلبَه؛ ليُقَارِع أَطْمَاعَه، فإنَّ في كثرةِ ذِكر الموت عِصْمَةً من الكِبْر، وأَماناً - بإذن اللَّه - من الهَلَع، ومَصْرعُ غيرِك يُرِيك مَصْرعك.

وكان النَّبيُّ ﷺ يُكثِر من زيارة المقابر ليلاً ونهاراً، وكان إذا كان يومُ عائشةَ رضي الله عنها يَزورُ البقيع؛ تقول عائشةُ رضي الله عنها: «كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى البَقِيعِ» رواه مسلم[1].

وزِيارَتُها تَشْحَذُ الهِمَمَ إلى الآخرة، وتَغُضُّ الطَّرْفَ عن الدُّنيا؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «زُورُوا القُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ» رواه ابن ماجه[2].

فاجْعَل الموتَ بين نَاظِرَيْك تَصْلُحْ أَحوالُك، وزُرِ المقابر يَحْيَ قلبُك.



(١) كتاب الجنائز، باب مَا يُقالُ عند دخول القبور والدُّعاء لأهلها، رقم (٩٧٤).
(٢) كتاب الجنائز، باب مَا جاء في زيارة القبور، رقم (١٥٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بِرُّ الوَالِدَيْنِ،
وَصِلَةُ الأَرْحَامِ

بِرُّ الوَالِدَيْنِ

جَعَلَ اللَّهُ الوَالدَيْن مَوْئِلَ السَّعَادة، ورَوْضةَ العطفِ والحَنَان، فحَقُّهُما عظيمٌ ومعروفُهُما لا يُجازَى، وجميلُهُما يَرْبُو على كلِّ جَمِيلٍ من الخَلْقِ، وليس في النَّاس أَعظمُ إحساناً - ولا أَكثرُ فَضْلاً - من الوَالدَيْن.

بِرُّ الوَالدَيْن خُلُقُ الأنبياء، ودَأْبُ[1] الصَّالحين، وسَبَبُ تَفْرِيج الكُرُبَات، وتَنَزُّلِ البَرَكَاتِ، وإجَابةِ الدَّعَواتِ؛ به ينشرح الصَّدرُ، وتَطِيب الحياةُ؛ قال تعالى في وصف نبيِّه يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]، وقال عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

بِرُّ الوَالدَيْن من شِيَمِ الكِرَام، ودليلُ الفَضْلِ والكمالِ، وهو طريقٌ إلى الجَنَّة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ البَابَ أَوِ احْفَظْهُ**» رواه التِّرمذيُّ وصَحَّحه[2].

حقُّهُمَا واجبٌ بعد حقِّ اللَّهِ تعالى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

---

(١) أي: عَادَة. الصحاح (١/ ١٢٣).

(٢) كتاب البرِّ والصِّلَة، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، رقم (١٩٠٠)، من حديث أبي الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بِرُّهُمَا عملٌ مُحبَّبٌ إلى اللَّه وأفضلُ من الجهادِ في سبيل اللَّه؛ يقول ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: **الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**، قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **بِرُّ الوَالِدَيْنِ**، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» متفق عليه[١].

بِرُّهُما سلوكٌ لطريق الجَنَّة؛ يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ**[٢]**، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ - أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا - فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**» رواه مسلم[٣].



(١) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب فضل الصَّلاة لوقتها، رقم (٥٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان باللَّه تعالى أفضل الأعمال، رقم (٨٥).

(٢) أي: أَلصَقه بالتُّرابِ، ثم استُعمل في الذُّل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كُرْه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٣٨).

(٣) كتاب البرِّ والصِّلَة والآداب، باب رَغِم أنف مَنْ أدرك أبويه أو أحدهما عند الكِبَر، فلم يدخل الجَنَّة، رقم (٢٥٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أَمَلُ وَالِدَيْكَ

أَملُ والدَيْك أن تكون ممَّن سِيرتُهم فَاضِلَة وأخلاقُهم سَامِيَة، مع صحَّة الاستقامة، والبُعدِ عن خَسَائِسِ الأعمال ورَذائلِ الأفعال، وأنْ لا تَقَعَ فريسةً لِلانحراف، أو أسيراً للمَلذَّات والشَّهَوات، أو مَطِيَّةً للجهل والهوى.

فلا تُضيِّعْ أَمَلَك وأَمَلَهم فيك أمام لحظةٍ مِن شهوة، أو ساعةٍ مِن غفلة، وعليك بانتقاء الأصحاب والمُؤانِسة؛ فالنَّفْسُ إن تُرِكَتْ وهَوَاهَا ضلَّت وأَضلَّت، وإنْ هُذِّبَت اكْتَسَبَتْ حُسْنَ الِاستقامة، ولُطفَ الشَّمائل، وجميلَ الأخلاق.

ومَنْ لم يَضبِطْ نَفْسَه عن مُقَارَفَة المَلاذِّ والرُّكونِ إلى المُشْتَبِهَات؛ فقد دخل في الغفلة، وخَرَمَ مُرُوءَتَه، وأضاع نفسَه، وسقط مِن عيون النَّاس، وقَتَلَ أَمَلَ غيره - مِن والدَيْن وأقارب - فيه.



صِلَةُ الأَرْحَامِ

مِنْ أَجَلِّ القُرُبَات عند اللَّهِ وأفضلِ الطَّاعات: صلةُ الرَّحِمِ، ومن فضل اللَّه وكَرَمِه أنْ جعل صِلَةَ الرَّحِمِ بَرَكةً في الوقت وزيادةً في رزق العبد؛ يقول ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ**[1]**؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» متفق عليه[2].

وواجبٌ على المسلم أنْ يكون واصلاً ومُوَاصِلاً لِرَحِمِهِ، ومِنَ الأفضل أنْ يُحدِّد يوماً معلوماً في الأسبوع لزيارة أقاربِه، ويَتَبَادَل معهم أَطْرَافَ الأحاديث؛ فإنَّ في ذلك سَلامةً للقلب.

وَصِلَةُ الرَّحِمِ لا تَشْغَلُ عن طَلَبِ العلم أو الدَّعوة أو نَفْعِ النَّاس؛ فزيارتُهم هي بركةُ العمر، ومن أراد زيادة البَرَكةِ في حياته فلْيُكثِرْ من صِلَةِ رَحِمِهِ؛ قال ابنُ التِّين رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «صِلَةُ الرَّحِمِ تَكُونُ سَبَباً لِلتَّوْفِيقِ فِي الطَّاعَةِ وَالصِّيَانَةِ عَنِ المَعْصِيَةِ، فَيَبْقَى بَعْدَهُ الذِّكْرُ الجَمِيلُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ»[4].

---

(١) أي: يُؤَخَّر له في أَجَلِه. شرح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٠٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب مَنْ أَحبَّ البَسْطَ في الرِّزْق، رقم (٢٠٦٧)، ومسلم، كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب صِلَة الرَّحِم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) هو: أبو مُحمَّد عبد الواحد بن التِّين الصَّفاقسيّ، توفي سنة (٦١١هـ). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٢٤٢).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤١٦).

والمُسلمُ لا يَسْتَكْثِرُ ذلك عليهم؛ فرَحِمُ الإنسانِ هم أَوْلَى النَّاس بالرِّعاية، وأَحقُّهُم بالعِنَايَة، وأَجدَرُهُم بالإكرام والحِمَاية؛ يقول ﷻ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

صِلَةُ الرَّحِمِ توفيقٌ في الحياة وإِثرَاءٌ للمال، يَكتبُ اللَّهُ بها العزَّةَ، وصِلَتُهم عبادةٌ جَلِيلةٌ من أَفضلِ العبادات؛ يقولُ عَمْرُو بنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «مَا مِنْ خَطْوَةٍ بَعْدَ الفَرِيضَةِ أَعْظَمُ أَجْراً مِنْ خَطْوَةٍ إِلَى ذِي الرَّحِمِ»[(٢)].

وقَرِيبُكَ قطعةٌ مِنْكَ، إنْ أَحْسَنْتَ إليه فإنَّما تُحْسِنُ إلى شَخْصِكَ، وإنْ بَخِلْتَ عليه فإنَّما تَبْخَلُ عن نفسِك، واللَّهُ خَلَقَ الرَّحِمَ وشَقَّ لها اسْماً مِن اسْمِهِ، ووعَدَ ربُّنا بوَصْلِ مَنْ وَصَلَها؛ «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ» متفق عليه[(٣)].

و«الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعْتُهُ» متفق عليه[(٤)].

---

(١) هو: أبو مُحمَّد عَمْرو بن دِينار الجمحيّ مولاهم، المكِّيّ، الأثرم، ولد في إِمْرَة معاوية سنة (٤٥هـ) أو (٤٦هـ)، وتوفي سنة (١٢٦هـ). سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٠٠)، تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٨٥).

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص٨٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب مَن وصل وصله اللَّه، رقم (٥٩٨٧)، ومسلم، كتاب البرِّ والصِّلَة والآداب، باب صِلَة الرَّحِم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب مَن وصل وصله اللَّه، رقم (٥٩٨٩)، ومسلم، كتاب =

وصِلَةُ الرَّحِمِ تَدْفَعُ - بإذن اللَّه - نَوائبَ[١] الدَّهر، وتَرْفَعُ - بأمر اللَّه - عن المرء البَلَايَا، ومَنْ وَصَلَهُ الرَّحِيمُ وَصَلَهُ كلُّ خيرٍ، ولم يَقْطَعْهُ أحدٌ، ومَنْ بَتَرَهُ الجبَّارُ لم يَصِلْهُ بَشَرٌ، وعَاشَ في كَمَدٍ[٢].



= البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب صِلَة الرَّحِم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٥)، من حديث عائشة رضي الله عنه.

(١) أي: مَصَائِب. الصحاح (١/ ٢٢٩).

(٢) أي: في حُزْنٍ. الصحاح (٢/ ٥٣١).

كَيْفَ أَصِلُ رَحِمِي؟

الرَّحِمُ تُوصَلُ بِتعاهُدِهِم بالزِّيارة، وإكرامِهم، وعِيَادةِ سَقِيمِهِم، والتَّيسيرِ على مُعْسِرِهِم، وتفقُّدِ أَحْوالِهِم.

وفي الوسائل الحديثة عَوْنٌ على الطَّاعة بأداءِ هذه العبادة؛ ففي الاتِّصال امتدادُ جِسْرِ العَطْف والمَحبَّة، وفي المُراسَلَة بقاءُ الوُدِّ، وفي تبليغ السَّلام تجديدُ العَهْدِ.

وكلُّ وسيلةٍ مُباحةٍ لتقويةِ أواصر ذَوِي القُرْبَى اغْتَنِمْهَا في أداء تلك العبادة.

ودعوةُ أقَارِبِكَ وتوجِيهُهم وإرشادُهم ونُصْحُهم أَلْزَمُ من غيرهم؛ قال سبحانه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].



أَقَارِبِي يُسِيئُونَ إِلَيَّ

الأقاربُ ليسوا سَواءً في الصِّلَةِ والمَوَدَّةِ والرَّحْمَةِ، وصِلَةُ الأَرْحَامِ عِبَادَةٌ عظيمةٌ لَا تُفْعَلُ لِفِعْلِ النَّاس لها، ولَا تُتْرَكُ لِتَرْكِ الأرْحَام لها؛ بل المسلمُ وَاصِلٌ لرَحِمِه - ولو قَطَعُوه -، يَصِلُهُم لا مكافأةً؛ وإنَّما تَعَبُّداً لِلَّه ﷻ، يقولُ ﷺ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ: مَنْ إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**» رواه البُخاريُّ[1].

وأَقاربُ النَّبِيِّ ﷺ المشركون آذَوْهُ أذِيَّةً شديدةً، ومع ذلك كان يَصِلُهُم ويقولُ: «**غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِماً سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا**[2]» رواه مسلم[3]، واللَّهُ ﷻ يَقولُ له - مع مُحارَبَتِهم له -: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

وإذا أساء إليك القريبُ فأَحْسِنْ إليه، وهذا هو الدَّواءُ الشَّرعِيُّ؛ فالمُسيءُ تُقَابَلُ سيِّئتُه بالحسنة، وفي هذا الصَّنيع عُلُوٌّ ورِفعةٌ عند اللَّه، وعزَّةٌ عند خَلْقِهِ بإلجامِ النَّفْس عن قبائِحِها، يَقولُ ﷻ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، ولا يُوَفَّق لهذه الخَلَّة إلَّا من أَرْخَصَ نَفْسَه في جنب اللَّه.

---

(١) كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، رقم (٥٩٩١)، من حديث عبد اللَّه بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) أي: سَأَصِلُها بِصِلَتِها الَّتي تَسْتَحقُّها. تفسير غريب ما في الصحيحين (ص٢٩٠).

(٣) كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، رقم (٢٠٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وثَمَّةَ خير آخَر من الإحسان إليهم مُقابِلَ إساءِتِهم؛ وهو كَظْمُ الغَيْظ، وذلك من صفات أهل الجَنَّة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وفي مُقابلةِ إساءَتِهم بالإساءة هَجْرٌ لعبادة صِلَةِ ذَوِي القُربَى، وتَأْجِيجٌ للقَطِيعَة، ووُقوعٌ في حبائل الشَّيطان وشِرَاكِه؛ جاء رجلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَلَيْهِمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ[١]؛ فَقَالَ عليه الصلاة والسلام: **لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ؛ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ[٢]، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**» رواه مسلم[٣].



(١) أي: يَقُولُون قَوْلَ الجُهَّال؛ من السَّبِّ والتَّقبِيح. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٥٢٨).

(٢) المَلُّ: الرَّمادُ؛ أي: تَجعلُ وُجُوهَهُم كلَوْنِ الرَّمَاد. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٧٥).

(٣) كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب صِلَة الرَّحِم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الزَّوَاجُ

مَنَافِعُ الزَّوَاجِ

الزَّوجةُ هي المأوى الَّذي هيَّأه اللَّهُ للرَّجُل يَستقرُّ فيه؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، فذَكَر ﷻ أنَّ الزَّوجةَ سَكَنٌ.

وَوَصَفَهَا بأنَّها لِبَاسٌ؛ فقال سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وأيُّهما أَفضلُ للشَّابِّ؛ أنْ يكون له لِباسٌ يلتحف به وسَكَنٌ يأوي إليه، أم يَبْقَى عُرْيَاناً وَحِيداً بلا مَسْكَنٍ؟!

والزَّواجُ للشَّبابِ أَجْمعُ للذِّهن، وأَدْعَى للرُّجُولَة، وأَمكنُ في المجتمع، فالزَّوجةُ عَوْنٌ على الطَّاعة، وسَنَدٌ في متاعب الحياة، فلا تتردَّدْ - أيُّها الشَّابُّ - في العزم على دخول بوَّابة الزَّواجِ مُتَفَائِلاً بالسَّعادة.



صِفَاتُ الزَّوْجَةِ

صفاتُ المرأة الباطنة وحُسْنُ معشرها لا تظهر على حقيقتها إلَّا بعد الزَّواج، فكم من امرأة أُثْنِيَ عليها في خِلَالِهَا ثُمَّ تَبَيَّن ضِدُّ ذلك، والإسلام وجَّهَ طالب النِّكاح إلى اختيار المرأة ذاتِ الدِّينِ التي تُحقِّقُ له مقاصدَ الزَّواجِ الشَّرعِيَّة؛ يقولُ ﷺ: «**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا؛ فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**» متفق عليه[1].

وشَرْطُ الدِّين في المرأة اجْعَلْهُ أساساً في الخِطْبَةِ، وكذا علوُّ خُلُقِهَا ورُقِيُّ تعامُلِهَا وحُسْنُ بَشَاشَتِهَا، فبَهَاء مَنْظَرِها مع دينها وخُلُقِهَا من كمالِ صفاتها، وإذا اجْتَمَع في المرأةِ دِينٌ ومالٌ وحَسَبٌ وجمالٌ؛ فتلك خِلَالٌ أربعٌ إن اجتمعت في امرأة فاظْفَرْ بها، ولا تُقَدِّمْ شرطَ الجمالِ على الدِّين؛ يقولُ ﷺ: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا: المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**» رواه مسلم[2].

وقبل الخِطْبَة اجْعَلِ الأناةَ مَطِيَّتك، والسُّؤالُ عن خُلُقِ والِدَيْهَا أَصْلٌ في معرفة خُلُقِ زوجَتِكَ؛ فالخَلَلُ في خُلُق أَحدِهما قد يظْهر أَثَرُه السَّيِّءُ عليها.



(١) رواه البخاري، كتاب النِّكاح، باب الأَكْفَاء في الدِّين، رقم (٥٠٩٠)، ومسلم، كتاب الرَّضاع، باب استحباب نكاح ذات الدِّين، رقم (١٤٦٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كتاب الرَّضاع، باب خير متاع الدُّنيا المرأة الصَّالحة، رقم (١٤٦٧)، من حديث عبد اللَّه ابن عَمْرو رضي الله عنهما.

تَزْوِيجُ الأَبْنَاءِ وَالبَنَاتِ

السِّمةُ الغَالِبةُ على المُجْتَمَعات تَقليدُ بعضِها بعضاً، وهذا من الخطأِ، ودينُ الإسلام له أُصولٌ ثابتةٌ ودَعائِمُ قائمةٌ، فلَسْنَا بحاجةٍ إلى تقليدِ غيرِنا، ودِينُنا حثَّنا على تَزْويجِ الشَّبابِ - وكذا الشَّابَّات -؛ لِمَا يَترتَّب على ذلك مِنْ مَصَالحَ ظاهرةٍ، ودَفْعِ مَحاذيرَ مُتوقَّعة، والخَالِقُ للخَلْقِ أَعلَم بهم، وفي الإسلام قول نَبِيِّنَا ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**[(١)]» متفق عليه[(٢)].

ولو كان في زواجِ الشَّباب وهم حَدِيثُو السِّنِّ مَفْسدةٌ لَمَا حَثَّ الشَّرْعُ المُطَهَّر على زواجهم، والقَاعدةُ الشَّرعِيَّةُ المُقرَّرةُ أَنَّ: «كُلَّ أَمْرٍ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ»، فإذا كان اللَّهُ يُحبُّ زَواجَ الشَّابِّ والشَّابَّة؛ فلماذا يَتوقَّف الآباء عن تَزوِيجهم؟

وفي المجتمع وَيْلَاتٌ ومصائبُ كثيرة سَبَبُها تأخيرُ الزَّواج، وليس لذلك دواء إلَّا فيما شَرَعَ اللَّه من النِّكاح؛ ففيه يَتحقَّق العَفَافُ والإحصانُ والصَّلَاحُ.

---

(١) الوِجَاء: رضُّ خِصْيَتَي الفَحْل رَضّاً يُذهِب شهوة الجِمَاع، والمراد: أنَّ الصَّوْم يَقْطَع النِّكاحَ كما يَقْطَعُه الوِجَاء. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٥٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصَّوم، باب الصَّوم لِمَنْ خاف على نفسه العزبة، رقم (١٩٠٥)، ومسلم، كتاب النِّكاح، باب استحباب النِّكاح لِمَنْ تَاقَتْ نفسُه إليه، ووجدَ مُؤَنَه، واشتغالِ مَنْ عَجَز عن المُؤَنِ بالصَّوم، رقم (١٤٠٠)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

الأَخْلَاقُ

سُمُوُّ الأَخْلَاقِ

حُسْنُ الخُلُقِ يستميل القلوب، وبحُسْنِ المَنْطِقِ وعُلُوِّ الخُلُقِ يَنْجَذِبُ الخَلْقُ، والنَّبيُّ ﷺ كان داعيةً بأخلاقِه ومُعاملاتِه؛ فهذا غُلامٌ يهوديٌّ - كان يَخدمُ النَّبيَّ ﷺ - يَمْرَض، فيَعُودُه ﷺ، ويَقْعُدُ عند رأسِه، ويَقولُ له: «أَسْلِمْ؛ فَنَظَرَ الصَّبِيُّ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ؛ فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» رواه البُخاريُّ[١].

وحُسْنُ الخُلُقِ لا يَتَطلَّب بَذْلَ مالٍ ولا إجهاد نَفْسٍ، وما حُسْنُ الخُلُقِ إلَّا طَلَاقَةُ الوجه، وبَذْلُ المعروف، وكفُّ الأذى.

والتَّحلِّي بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق والهَدْيِ الحَسَن والسَّمْت الصَّالح سِمَة ذوي الفضل والمُروءَات، وخيرُ النَّاس مَنْ عَلا خُلُقُه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقاً» متفق عليه[٢].

ودِينُنا يَأمرُ بالمَكارم، ويَنْهَى عن المفاسد، وعُلوُّ المرء يكونُ بالدِّين والأخلاقِ والآداب، وتَهذيبُ النُّفوس عَوْنٌ على عمارة القلوب، ودليلٌ على مَحامدِ الأمور.



(١) كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصَّبيُّ فمات هل يُصلَّى عليه، رقم (١٣٥٦)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النَّبيِّ ﷺ، رقم (٣٥٥٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائِه ﷺ، رقم (٢٣٢١)، من حديث عبد اللَّه بن عَمْرو رضي الله عنهما.

هَلْ حُسْنُ الخُلُقِ عِبَادَةٌ؟

حُسْنُ الخُلُقِ عبادةٌ من أجَلِّ العبادات، وكثيرٌ من النَّاس يَجهلُ ذلك؛ قال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ القِيَامُ بِحَقِّ اللَّهِ دُونَ حُقُوقِ عِبَادِهِ»[1].

يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ فَقَالَ: **تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ**» رواه التِّرمذيُّ[2].

والمَرءُ لا يَكمُل إيمانُه إلا بحُسْنِ الخُلُقِ؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**» رواه التِّرمذيُّ[3].

وحُسْنُ الخُلُق مع الإيمان صاحبُه في أعلى الجَنَّة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ** - أَيْ: ضَامِنٌ - **بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ**[4] **لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ**[5] **وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**» رواه أبو داود[6].

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٥٤).

(٢) أبواب البِرِّ والصِّلَة، باب ما جاء في حسن الخُلُق، رقم (٢٠٠٤).

(٣) أبواب الرَّضاع، باب ما جاء في حقِّ المرأة على زوجها، رقم (١١٦٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أي: ما حَوْلَها خَارجاً عنها؛ تشبيها بالأبنية الَّتي تكون حول المدن وتحت القلاع. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٨٥).

(٥) المِرَاء: الجِدَال. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٢٢).

(٦) كتاب الأدب، باب في حسن الخُلُق، رقم (٤٨٠٠)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وجِمَاعُ الخيرِ كلِّه في حُسْنِ الخُلُق؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ**» رواه مسلم[(١)].

وأَنسُ بن مالكٍ رضي الله عنه يَحْكِي خُلُقَ النَّبيِّ ﷺ، فيقول: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقاً» متفق عليه[(٢)].

وكانت أَخلاقُ النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام عظيمةً عاليةً، وَصَفَه ربُّه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، يَعْلُو وجهه البِشْرُ والسُّرورُ والفألُ؛ لم يكن عَبُوساً ولا مُشْمَئِزّاً، يقول جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه[(٣)]: «مَا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي» رواه البُخاريُّ في الأدب المفرد[(٤)].

وذو الأخلاق مع الإيمان أَقربُ النَّاس مَجْلِساً من النَّبيِّ ﷺ في الآخرة؛ قال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقاً**» رواه التِّرمذيُّ[(٥)].

وبعضُ النَّاس يُفرِّطُ في القيام بحقوقِ الخَلْقِ، ويَظُنُّ أَنَّ كمالَ التَّعبُّد هو إصلاحُ ما بينَه وبين خالقِه - دُونَ خَلْقِه -؛ قال ابن

(١) كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب تفسير البِرِّ والإثم، رقم (٢٥٥٣)، من حديث النَّوَّاس بن سَمْعَان الأنصاريّ رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الكُنْيَة للصَّبيِّ وقبل أن يُولَد للرَّجُل، رقم (٦٢٠٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول اللَّه ﷺ أحسن النَّاس خُلقاً، رقم (٢٣١٠).

(٣) هو: أبو عبد اللَّه جرير بن عبد اللَّه بن جابر البَجَلِيّ، أسلم قبل وفاة النَّبيِّ ﷺ بأربعين يوماً، وتوفي سنة (٥١هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة (١/ ٣٣٣).

(٤) باب التَّبسُّم، (ص٩٧)، رقم (٢٥٠).

(٥) أبواب البِرِّ والصِّلَة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم (٢٠١٨).

رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَثِيراً مَا يَغْلِبُ عَلَى مَنْ يَعْتَنِي بِالقِيَامِ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَالِانْعِكَافِ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَطَاعَتِهِ؛ إِهْمَالُ حُقُوقِ العِبَادِ بِالكُلِّيَّةِ، أَوِ التَّقْصِيرُ فِيهَا، وَالجَمْعُ بَيْنَ القِيَامِ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ عَزِيزٌ جِدّاً لَا يَقْوَى عَلَيْهِ إِلَّا الكُمَّلُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ»[1].

والجَمعُ بين حقِّ اللَّهِ وحقِّ عبادِه لا يُوَفَّق إليه كلُّ عبدٍ، قال المُحَاسِبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ عَزِيزَةٌ أَوْ مَعْدُومَةٌ: حُسْنُ الوَجْهِ مَعَ الصِّيَانَةِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ مَعَ الدِّيَانَةِ، وَحُسْنُ الإِخَاءِ مَعَ الأَمَانَةِ»[3].



---

(١) جامع العلوم والحِكم (١/ ٤٥٤).

(٢) هو: أبو عبد اللَّه الحارث بن أَسد المُحَاسِبِيّ البغداديّ، توفي سنة (٢٤٣هـ). سير أعلام النبلاء (١٢/ ١١٠)، طبقات الشافعية (١/ ٥٩).

(٣) جامع العلوم والحِكم (١/ ٤٥٤).

التَّحَلِّي بِالصِّدْقِ

الصِّدقُ من أَعظمِ الفضائل الأخلاقيَّة، وأَكرم الصِّفات الإنسانيَّة، وهو أَساسُ الإيمان؛ به تَظهَرُ الرِّفعة والهِمَّة والعُلُوُّ، يَتحلَّى به الأَمَاثِل من الرِّجَال، ويَتَّصفُ به الأوفياء من المؤمنين، فأبُو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه[١] لم تُعَدَّ عليه كِذْبة في حياته.

يقول مُصعَب بن الزُّبَيْر رضي الله عنه[٢] - في وصف أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه -: «وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى تَسْمِيَتِهِ بِالصِّدِّيقِ؛ لِأَنَّهُ بَادَرَ إِلَى تَصْدِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَازَمَ الصِّدْقَ، فَلَمْ تَقَعْ مِنْهُ هَنَاةٌ[٣] مَا، وَلَا وَقْفَةٌ فِي حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ»[٤].

واللَّهُ أَمَر رَسُولَه أن يَجعلَ مُدخَلَه ومُخرَجَه على الصِّدق ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

وهو علامةٌ على رِفعة المُتَّصف به؛ فالتَّحلِّي به يُوصِلُ العبدَ إلى

---

(١) هو: أبو بكر عبد اللَّه بن عثمان بن عامر التَّيميّ القُرشيّ، الصِّدِّيق، صاحبُ رسول اللَّه ﷺ، وخَليفَتُه، وأَخصُّ النَّاس به، توفي سنة (١٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٦٣)، أسد الغابة في معرفة الصحابة (٣/ ٨٤).

(٢) هو: أبو عيسى مصعب بن الزُّبَيْر بن العوَّام الأَسديّ القُرشيّ، توفي سنة (٧٢هـ) وله أربعون سنة. سير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٠).

(٣) أي: أَشْيَاء مَكْرُوهَة مُنْكَرة. مطالع الأنوار على صحاح الآثار (٦/ ١٣٦).

(٤) تاريخ الخلفاء (ص٢٦).

منازل الأبرار، وإذا رأيتَ رجلاً صادقاً في حديثِه وتعاملِه؛ فترقَّب علوَّه ورِفعتَه.

والعبدُ مطالبٌ بالصِّدق في جميع أحواله؛ يقول الجُنَيْد رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «حَقِيقَةُ الصِّدْقِ: أَنْ تَصْدُقَ فِي مَوْطِنٍ لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ إِلَّا الكَذِبُ»[(٢)].

وإذا تحلَّيتَ بالصِّدق فاعلم أنَّ ذلك مِنْ مِنَنِ اللَّه العظيمة عليك؛ يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ - بَعْدَ الإِسْلَامِ - بِنِعْمَةٍ أَفْضَلَ مِنَ الصِّدْقِ الَّذِي هُوَ غِذَاءُ الإِسْلَامِ وَحَيَاتُهُ، وَلَا ابْتَلَاهُ بِبَلِيَّةٍ أَعْظَمَ مِنَ الكَذِبِ الَّذِي هُوَ مَرَضُ الإِسْلَامِ وَفَسَادُهُ»[(٣)].

ويوم القيامة لا ينجي العبدَ إلَّا الصِّدق؛ قال سبحانه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

فلازِمِ الصِّدقَ في قولِك وفِعلِك لِتَلْحَقَ برُتْبَة الصِّدِّيقين في الجنَّة.



(١) هو: أبو القاسم الجُنَيْد بن مُحمَّد بن الجُنَيْد النَّهَاوَنْديّ، القواريريّ، ولد سنة (٢٢٠ ونيِّف)، وتوفي سنة (٢٩٧هـ). طبقات الصوفية (ص١٢٩)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٦٥).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٥١٧).

الوَفَاءُ بِالوَعْدِ

الوفاءُ بالوَعْدِ مِن نُعُوت ذوي المُرُوءَات، والخُلْف فيه قَدْحٌ في كمال الرُّجولة، وعِصيانٌ لربِّ العالمين، وأَمارةٌ على احتقار الآخرين، ولم يتَّصف بتلك الصِّفة إلَّا أَرَاذِلُ الخَلْقِ.

يقول ﷺ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» متفق عليه[1]، زاد مسلم: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

ومَنْ أخلفَ وعدَه فقد عصى اللَّه؛ قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]؛ فيجب عليك الوَفاءُ بالعَهْد وإنْجازُ الوَعْد.

ومَنْ وَعَدَ فعلَّق وعدَه بمشيئةِ اللَّه وهو ينوي عدمَ الوَفَاءِ به؛ كان ذلك مِنْ إخلافِ الوعد؛ قال ابن رَجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا أَشَرُّ الخُلْفِ، وَلَوْ قَالَ: أَفْعَلُ كَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَمِنْ نِيَّتِهِ أَنْ لَا يَفْعَلَ؛ كَانَ كَذِباً وَخُلْفاً، قَالَهُ الأَوْزَاعِيُّ»[2].



(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم (٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم (٥٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨٢).
والأَوْزَاعيُّ هو: أبو عَمْرو عبد الرَّحْمن بن عَمْرو بن يحمد الأَوْزَاعيّ، ولد سنة (٨٨هـ)، وتوفي سنة (١٥٧هـ). سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧).

الرُّسُلُ وَخِدْمَةُ النَّاسِ

نفْعُ النَّاس والسَّعيُ في كشفِ كُرُوبِهم من صفات الأنبياء والرُّسُل، وهم السَّابقون في هذا؛ فالكريمُ يُوسفُ عليه السلام - مع ما فعلَه إخوتُه بِه - جهَّزَهم بجَهَازِهِم.

وموسى عليه السلام لمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَن وجد عليه أُمَّةً من النَّاس يَسْقُون، ووجد مِن دونهم امرأتين مستضعفتين؛ رفع الحجر عن البئرِ، وسَقَى لهما حتى رَوِيَتْ أغنامهما.

كما شَفَعَ عليه السلام عند ربِّه أن يكون أَخُوه هارون نبيّاً؛ فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ [طه: ٢٩]، قال ابن كثيرٍ رحمه الله في تفسيره[(١)]: «قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ مِنَّةً عَلَى أَخِيهِ مِنْ مُوسَى عَلَى هَارُونَ عليهما السلام؛ فَإِنَّهُ شُفِّعَ فِيهِ حَتَّى جَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيّاً وَرَسُولاً مَعَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مُوسَى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]».

وخديجة رضي الله عنها[(٢)] تقول - في وصفِ نَبِيِّنا مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ[(٣)]، وَتَكْسِبُ

---

(١) (٦/ ٢٣٦).

(٢) هي: أُمُّ المؤمنين خَديجةُ بنت خُوَيْلِد بن أسد الأَسديَّة القُرشيَّة، كانت أوَّل مَنْ آمن باللَّه ورَسُولِه، وُلِدَ له صلى الله عليه وسلم منها ولَده كلّهم حاشا إبراهيم، توفِّيت (٣ق.هـ)، وقيل: (٤ق.هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨١٧).

(٣) أي: من الأَثْقَال والحَوَائِج المُهِمَّة والعِيَال، وكلُّ مَا يَتَكَلَّف ويَثْقُل حَمْلُه فَهُوَ كَلٌّ. تفسير غريب ما في الصحيحين - البخاري ومسلم - (ص٥٠٩).

المَعْدُومَ[١]، وَتَقْرِي الضَّيْفَ[٢]، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ[٣]» متفق عليه[٤].

وكان نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ إذا سُئِلَ حاجةً لم يَرُدَّ السَّائلَ عن حاجته؛ يقول جابر رضي الله عنه: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ، فَقَالَ: لَا» متفق عليه[٥]، والدُّنيا أقلُّ مِنْ أنْ يُرَدَّ طالبُها.

وعلى هذا النَّهج القويم سارَ الصَّحابة والصَّالحون؛ فقد كان عُمَرُ رضي الله عنه يَتَعَاهَد الأرامل؛ يَسْقِي لهُنَّ الماء[٦].

وكان زُبَيدٌ رحمه الله إذا كانتِ اللَّيلةُ مَطِيرة أَخَذَ شُعْلَةً مِنَ النَّارِ فَطَافَ عَلَى عَجَائِزِ الحَيِّ، فَيَقُولُ: «أَوَكَفَ[٧] عَلَيْكُمْ بَيْتٌ؟ أَتُرِيدُونَ ناراً؟ فَإِذَا أَصْبَحَ طَافَ عَلَى عَجَائِزِ الحَيِّ، فَيَقُولُ: أَلَكُمْ فِي السُّوقِ حَاجَةٌ؟ أَتُرِيدُونَ شَيْئاً؟»[٨].

---

(١) أي: تَكْسِبُ ما يُحْرَمُهُ غَيْرُك؛ فالشَّيْءِ الَّذِي لَا يُوجد تكسِبُه لنَفسك، وقيل: تَكْسِبُ النَّاسَ الشَّيءَ المَعدُومَ الَّذين لا يَجِدُونَه مِمَّا يحتاجون إليه. مشارق الأنوار (٢/ ٦٩)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٩١).

(٢) أي: تُهَيِّئُ لَهُ طَعَامَه ونُزُلَهُ. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ١٨١).

(٣) النَّوائِبُ: جَمْعُ نَائِبَة؛ وهي: الحَادِثَة، وقُيِّدَتْ بالحَقِّ؛ لأنَّ النَّائِبَةَ قد تَكُونُ في الخَيْر، وقد تَكُونُ في الشَّرِّ. شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٠٢).

(٤) رواه البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول اللَّه ﷺ؟ رقم (٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول اللَّه ﷺ، رقم (١٦٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب حُسن الخلُق والسَّخاء، وما يُكره من البخل، رقم (٦٠٣٤)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ما سُئِل رسول اللَّه ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، رقم (٢٣١١).

(٦) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٥).

(٧) وَكَفَ البَيْتُ بالمَطَر، والعَيْنُ بالدَّمْع: سَالَ قَلِيلاً قَلِيلاً. المصباح المنير (٢/ ٦٧٠).

(٨) صفة الصفوة (٢/ ٥٦).

وكان شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَسْعَى سعياً شديداً لقضاءِ حوائج المسلمين[١].



(١) العقود الدُّرِّية (ص١٣٤).

قَضَاءُ حَوَائِجِ النَّاسِ

ما استُجْلِبَت نِعَمُ اللَّه واستُدْفِعَت نِقَمُهُ بمثلِ طاعتِه والتَّقرُّبِ إليه والإحسانِ إلى خَلقِه، والدِّين الحَنِيف جاء بالعِلم والعَمَل؛ فأمر بإخلاص العبادة وحُسْنِ المعاملة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَأَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ؛ فَهَذَا قَائِمٌ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَحَقِّ عِبَادِ اللَّهِ فِي إِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ»(١).

وقَضَاء حَوَائِج النَّاس بَرَكَةٌ في الوَقْت والعَمَل، وسَببٌ في تيسيرِ ما تعسَّر؛ يقول ﷺ: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» رواه مسلم(٢).

والشَّريعةُ جاءت بالحَثِّ على التَّعاون بين النَّاس، وقضاءِ حوائجهم، والسَّعي في تفريج كُرُوبِهم؛ يقول ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ» رواه مسلم(٣).

بِبَذْلِ المعروفِ والإحسانِ إلى الخَلْقِ تحسُن الخاتمة، وتُصْرف عنك مِيتة السُّوء؛ يقول ﷺ: «المَعْرُوفُ إِلَى النَّاسِ يَقِي صَاحِبَهَا

---

(١) الفتاوى (١/ ٥٣).

(٢) كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكْر، رقم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) قِطْعَة من الحديثِ السَّابِق.

مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالآفَاتِ، وَالهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ» رواه الحاكم[١].

وقضاءُ الحوائج صَدقاتٌ مَبذولةٌ؛ يقول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «مَنْ مَشَى بِحَقِّ أَخِيهِ إِلَيْهِ لِيَقْضِيَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ صَدَقَةٌ»[٢].

وقَضَاء حَوَائِج النَّاس مفتاحٌ للخير، وتَعطيلُها فتحٌ للشُّرور؛ يقول ابن القيِّم رحمه الله: «وَقَدْ دَلَّ العَقْلُ وَالنَّقْلُ وَالفِطْرَةُ وَتَجَارِبُ الأُمَمِ - عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَمِلَلِهَا وَنِحَلِهَا - عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ، وَالبِرَّ وَالإِحْسَانَ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ الجَالِبَةِ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَضْدَادَهَا مِنْ أَكْبَرِ الأَسْبَابِ الجَالِبَةِ لِكُلِّ شَرٍّ»[٣].

والـمَعرُوفُ ذَخِيرةُ الأبد، والسَّعيُ في شؤون النَّاس زكاة أهل المُرُوءَات، والكَسلُ عن الفضائل بِئْسَ الرَّفيق، وحُبُّ الدَّعَة والرَّاحة يُورِث من النَّدم ما يَرْبُو على كلِّ مُتْعَة.

ومن المصائب - عند ذوي الهِمَم -: أن لا يَقْصِدَهُم النَّاس في قضاءِ حوائِجهم؛ يقول حَكِيم بن حِزام رضي الله عنه[٤]: «مَا أَصْبَحْتُ وَلَيْسَ بِبَابِي صَاحِبُ حَاجَةٍ، إِلَّا عَلِمْتُ أَنَّهَا مِنَ المَصَائِبِ»[٥].

---

(١) في المستدرك (١/ ٢١٣)، رقم (٤٢٩)، من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحِكم (٢/ ٩٠).

(٣) الجواب الكافي (ص٣٠).

(٤) هو: أبو خالد حَكِيم بن حِزَام بن خويلد الأسديّ القُرشيّ، ولد قبل الفيل بثلاث عشرة سنة، أو اثنتي عشرة سنة، توفي سنة (٥٤هـ) في خلافة معاوية رضي الله عنه. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٦٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١).

وبخدمةِ النَّاس وقَضاءِ حَوائِجِهِم تَجذِبُ أَفئدتَهُم، وتَستمِيلُ قُلوبَهُم؛ قال الشَّاعر[١]:

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ   فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ

❖ ❖ ❖

(١) وهو: أبو الفَتْح البُسْتيّ. عُنوان الحِكَم - ضمن «متون طالب العلم، المستوى الرَّابع» - بتحقيقنا (ص٧٠).

التَّواضُعُ

حقيقة العُلُوِّ إنَّما هو القُرْب من اللَّه، والتَّمايُز إنَّما يكون بالتَّقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

والتَّزَخْرُفُ في المَلْبَس والصُّورة لا يُغنِي عند اللَّه شيئاً؛ قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» رواه مسلم(١).

واحتقارُ الآخرين - لِقلَّة ذات أَيدِيهِم أو جَاهِهِم، أو عدم حُسْنِ صورتِهِم - ضَعفٌ في العَقْل، ونَقصٌ في كمال الإدراك، وقِلَّةٌ في الإيمان.

فالحياةُ وزينتُها، وغِناهَا وجَاهُها وزُخرفُها؛ دُوَلٌ بين الخَلْقِ(٢)، فكم مِنْ فَقيرٍ اغْتَنى! وكم مِنْ وَضيعٍ شَرُفَ! والمُحتقِر لغيره يُخْشَى عليه أن تَزُول عنه نِعْمَة غناه، أو جاهه، أو مكانته، أو صورته.

والتَّواضعُ للخَلْقِ آيةٌ على صِحَّةِ الإيمان، وكمالِ العقل، ورأفةِ القلب، قال ابن رَجبٍ رحمه الله: «وَقَدْ يَكُونُ كَثِيرٌ مِمَّنْ لَهُ صُورَةٌ حَسَنَةٌ، أَوْ

---

(١) كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب تحريم ظلْم المسلم، وخذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه، وماله، رقم (٢٥٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أي: تتداول، تكون مرّةً لهذا ومرَّةً لهذا. الصحاح (٤/ ١٧٠٠).

مَالٌ، أَوْ جَاهٌ، أَوْ رِيَاسَةٌ فِي الدُّنْيَا قَلْبُهُ خَرَابٌ مِنَ التَّقْوَى، وَيَكُونُ مَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ قَلْبُهُ مَمْلُوءٌ مِنَ التَّقْوَى، فَيَكُونُ أَكْرَمَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؛ بَلْ ذَلِكَ هُوَ الأَكْثَرُ وُقُوعاً، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ[١] عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ رضي الله عنه[٢]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ[٣] مُسْتَكْبِرٍ**)»[٤].

وفي التَّواضع رِفعة الدُّنيا والآخرة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ**» رواه مسلم[٥].

وكان شَيخُ المُحدِّثين أبو موسى المَدِينِيُّ رحمه الله[٦] يُقرِئ الصِّبيان القرآن في الألواح؛ مع جلالة قَدرِه وعُلوِّ مَنزلَتِه.

والمُتواضِعُ مَنْ إذا رأى أحداً قال: هذا أَفضلُ مِنِّي؛ يقول

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الكِبْر، رقم (٦٠٧١)، ومسلم، كتاب الجَنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجَنة يدخلها الضعفاء، رقم (٢٨٥٣).

(٢) هو: حارثة بن وَهْب الخُزاعِيّ، أخو عبيد اللَّه بن عُمَر بن الخَطَّاب لأُمِّه. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٠٨).

(٣) أي: الجَمُوع المَنُوع، وقيل: الكَثِير اللَّحْم المُخْتَال في مِشْيَتِه، وقيل: القَصِير البَطِين. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣١٦).

(٤) جامع العلوم والحِكم (٢/ ٢٧٦).

(٥) كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب استحباب العفو والتَّواضع، رقم (٢٥٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) هو: أبو موسى مُحمَّد بن عمر بن أحمد المَدِينيّ الأصبهانيّ الشَّافعيّ، ولد سنة (٥٠١هـ)، وتوفي سنة (٥٨١هـ). طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ١٦٠).

الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «أَرْفَعُ النَّاسِ قَدْراً: مَنْ لَا يَرَى قَدْرَهُ، وَأَكْثَرُهُمْ فَضْلاً: مَنْ لَا يَرَى فَضْلَهُ»[(٢)].



(١) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن إدريس بن العبَّاس المُطَّلبيّ القُرشيّ، الشَّافعيّ، أحد أئمَّة المذاهب الأربعة، وُلد سنة (١٥٠هـ)، وتوفي سنة (٢٠٤هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٦٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٩٩).

قُبْحُ الكَذِبِ

الكذبُ مِفتاحُ النِّفاق وأَساسُه، وهو من أَخصِّ صفات الأَرَاذِل من الخَلْقِ؛ قال ﷺ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» متفق عليه[١].

وما أُخرج آدمُ وحوَّاءُ من الجَنَّة إِلَّا بسبب كذب إبليس عليهما؛ قال ﷻ عن إبليس: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

وقد جعل أهل العِلْم حال الكاذب أَسوأ من حال البهائم؛ قال شيخ الإسلام: «الكَاذِبُ أَسْوَأُ حَالاً مِنَ البَهِيمَةِ العَجْمَاءِ[٢]»[٣].

والكذبُ يُوصِل إلى فساد المَعَاش والمَعَاد؛ قال ابن القيِّم ؒ: «كُلُّ عَمَلٍ فَاسِدٍ - ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ - فَمَنْشَؤُهُ الكَذِبُ، وَاللَّهُ تَعَالى يُعَاقِبُ الكَذَّابَ بِأَنْ يُقْعِدَهُ وَيُثَبِّطَهُ عَنْ مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ، وَيُثِيبُ الصَّادِقَ بِأَنْ يُوَفِّقَهُ لِلْقِيَامِ بِمَصَالِحِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، فَمَا اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِمِثْلِ الصِّدْقِ، وَلا مَفَاسِدُهُمَا وَمَضَارُّهُمَا بِمِثْلِ الكَذِبِ»[٤].

ولو لم يَأْتِكَ من مفاسد الكذب إلَّا أنَّه يَحْرِمُكَ من درجة الصِّدِّيقيَّة

---

(١) سبق تخريجه (ص١٢٤).

(٢) أي: الَّتي لَا تَتَكَلَّم. غريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ٢٨١).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠/ ٧٤).

(٤) الفوائد (ص١٣٦).

في الآخرة؛ لكفى به مفسدة، فإنَّ درجةَ الصِّدِّيقيَّة لا ينالها كاذب الْبَتَّة، فجَانِبِ الكذبَ في حديثك؛ فهو يهْوِي بك في الرَّذائِل، ويُبعِد عنك الأصحاب، ويُبغِّض فيك الخَلْقَ، ويُحذِّر منك في التَّعامل.



الِابْتِعَادُ عَنِ الحَسَدِ

الحَسدُ مَرضٌ من أمراض النَّفْسِ، وغالباً يقع بين النُّظراء؛ لكراهة أحدهما لصاحبه، أو لفضلِ الآخَر عليه، وهو مِنْ أعظم مداخل الشَّيطان، وهو خَصْلَةٌ ذَمِيمةٌ من خصال اليهود؛ قال ﷻ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، وهو نارٌ محرِقةٌ لِمَن بُلِيَ به؛ فهو في عذاب اللَّه؛ ولهذا قيل: «قَاتَلَ اللَّهُ الحَسَدَ مَا أَعْدَلَهُ! بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ!»(١).

وقد قيل: «أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ ثَلَاثَةٌ: الحِرْصُ وَالكِبْرُ وَالحَسَدُ؛ فَالحِرْصُ مِنْ آدَمَ، وَالكِبْرُ مِنْ إِبْلِيسَ، وَالحَسَدُ مِنْ قَابِيلَ؛ حَيْثُ قَتَلَ هَابِيلَ»(٢).

والحَسدُ نوعٌ مِنْ مُعَادَاة اللَّه؛ فالحاسدُ يَكْرَه نِعْمَة اللَّه على عبده، وقد أَحبَّها اللَّه، وأَحبَّ الحاسد زَوالَها عنه، واللَّهُ يَكْرَه ذلك؛ فهو مُضادٌّ للَّه في قَضائِه وقَدَرِه ومَحبَّتِه وكَرَاهيتِه.

وهو مُنافٍ للأُخوَّة في الدِّين؛ قال ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا**

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف (ص٣٠٥).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/١٢٦).

تَنَاجَشُوا[١] وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا[٢]، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً» رواه مسلم[٣].

والحاسدُ كارِهٌ فضلَ اللَّه على عباده، مَبغوضٌ في الخَلْقِ، مُحبٌّ لِلذَّات، كارِهٌ لنفع الآخرين؛ قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما[٤]: «كُلُّ النَّاسِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرْضِيَهُ إِلَّا حَاسِدَ نِعْمَةٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا»[٥].

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «الحَاسِدُ عَدُوُّ نِعَمِهِ - أَيْ: نِعَم اللَّهِ - وَعَدُوُّ عِبَادِهِ، وَمَمْقُوتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ، وَلَا يَسُودُ أَبَداً، وَلَا يُوَاسَى؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يُسَوِّدُونَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَنْ يُرِيدُ الإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ»[٦].

والفَاضلُ لا يكون حَسُوداً، ولا يَحسُد إلَّا المفضولُ، واللَّه عز وجل قد يُنعِم على المحسود بالنِّعمة التي حُسِد عليها، فيعيدها له، أو يَزِيد؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فَإِنَّ بُغْضَهُ لِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ مَرَضٌ، فَإِنَّ تِلْكَ النِّعْمَةَ قَدْ تَعُودُ عَلَى المَحْسُودِ وَأَعْظَمُ مِنْهَا، وَقَدْ يَحْصُلُ نَظِيرُ تِلْكَ النِّعْمَةِ لِنَظِيرِ ذَلِكَ المَحْسُودِ»[٧].

---

(١) التَّناجُش: أن يَزيدَ الرَّجُل في ثَمَن السِّلْعَة وهو لا يُريدُ شراءها. غريب الحديث للقاسم بن سلام (٢/ ١٠).

(٢) التَّدابُر: التَّقَاطُع والتَّهاجُر. غريب الحديث للقاسم بن سلام (٢/ ١٠).

(٣) كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب تحريم ظُلْم المسلم، وخذله، واحتقاره، ودمه، وعِرْضه، وماله، رقم (٢٥٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) هو: أبو عبد الرَّحْمن معاوية بن أبي سفيان بن صَخْر الأمويّ القُرشيَ، أسلم قبل الفَتْح وعمره (١٨) سنة، وتوفي سنة (٦٠هـ). معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٤٩٦).

(٥) المجالسة وجواهر العِلم (٣/ ٥٠).

(٦) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٧).

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ١١٢).

ومَنْ وَجَدَ في قلبه حسداً لغيره فليُجاهِدْ نفسَه بالتَّقوى والصَّبر، قال رَجَاء بن حَيْوة رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «مَا أَكْثَرَ عَبْدٌ ذِكْرَ المَوْتِ إِلَّا تَرَكَ الحَسَدَ وَالفَرَحَ»[(٢)].

فعليك بالسَّعي في إزالة الحسد مِن قلبك، والإحسانِ إلى المحسود؛ بإكرامه والدُّعاءِ له، ونَشْرِ فضائله، واعْلُ بنَفْسِك إلى إزالة ما وجدْتَ عليه في نَفْسِك من الحسد حتَّى تصل إلى مَرْتَبةٍ تتمنى فيها أن يكون أخوك المسلم خيراً منك وأفضلَ؛ قال ابن رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا مِنْ أَعْلَى دَرَجَاتِ الإِيمَانِ، وَصَاحِبُهُ هُوَ المُؤْمِنُ الكَامِلُ الَّذِي يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[(٣)].

والمَحسُودُ مَظلومٌ مَأْمُورٌ بالصَّبر والتَّقوى؛ فليَصْبِرْ على أذى الحاسد وليَعْفُ وليَصْفَحْ عنه فالرِّفْعَة له.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِنْ أَصْعَبِ الأَسْبَابِ عَلَى النَّفْسِ وَأَشَقِّهَا عَلَيْهَا - وَلَا يُوفَّقُ لَهَا إِلَّا مَنْ عَظُمَ حَظُّهُ مِنَ اللَّهِ - إِطْفَاءُ نَارِ الحَاسِدِ وَالبَاغِي وَالمُؤْذِي بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ؛ فَكُلَّمَا ازْدَادَ أَذىً وَشَرّاً وَبَغْياً وَحَسَداً؛ ازْدَدْتَ إِلَيْهِ إِحْسَاناً، وَلَهُ نَصِيحَةً، وَعَلَيْهِ شَفَقَةً»[(٤)].



(١) هو: رَجَاء بن حَيْوَة بن جرول الكنديّ، توفي سنة (١١٢هـ). سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٥٧).
(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ١٧٣).
(٣) جامع العلوم والحِكم (٢/ ٢٦٣).
(٤) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٣).

الحَذَرُ مِنَ الغِيبَةِ

مَنْ عَزَّت عليه نَفْسُه صَانَها وحَمَاهَا، ومَنْ هانت عليه أَطْلَقَ لها عِنانَها، وأَرْخَى زِمَامَها؛ فأَلْقَاهَا في الرَّذَائِل، ولم يحفظها من المَزَالِق، والنَّاس عَوْرَات ومَعَايِب، وزَلَّات ومَثَالِب؛ فلا تَظنَّ أنَّك علِمْتَ ما لم يعلم غيرُك، أو أنَّك أَدْرَكْتَ ما عجَز عنه غيرُك، والمُوفَّق مَنْ شَغَلَه عَيْبُه عن عُيوبِ النَّاس.

والغِيبةُ جالبةٌ للسَّيِّئات، يقول الحَسَن البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاللَّهِ لَلْغِيبَةُ أَسْرَعُ فِي دِينِ الرَّجُلِ مِنَ الآكِلَةِ فِي الجَسَدِ»[١]، ومِن العَجَبِ أنَّ الرَّجُل لا يَغْتَاب إلَّا مَنْ هو أعلى منه، أمَّا مَنْ هو دونه فيُقدِّم الرَّحْمة على الغِيبة.

والإسلام حارَبَ الهَوَى، ورتَّب جزاءً على الغِيبة أنْ تُعطَى حسناتك لِمَنْ تغتابه، وكلُّ ذلك تَنفيرٌ من الغِيبة، يقول ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ كُنْتُ مُغْتَاباً أَحَداً لَاغْتَبْتُ وَالِدَيَّ؛ لِأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِحَسَنَاتِي»[٢]، فهي نار الحسنات الَّتي تأكلها؛ كما تأكلُ النَّار الحطب.

ولِمَا تَجْلِبُه الغِيبةُ - مِن قسوة القلب ونَتَن اللِّسَان - خَافَها العُلَمَاء على أنفسهم؛ يقول أبو عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «مُذْ عَقَلْتُ أَنَّ الغِيبَةَ حَرَامٌ مَا

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٤٣).

(٢) الأذكار للنووي (ص٣٤٠).

(٣) هو: أبو عاصم الضَّحَّاك بن مخلد بن الضَّحَّاك الشَّيبانيّ البَصريّ، ولد سنة (١٢٠هـ)، وتوفي سنة (٢١٢هـ). طبقات الحفاظ للسيوطي (ص١٥٩).

اغْتَبْتُ أَحَداً»[١].

فاحفَظْ لِسَانَك عن أعراضِ النَّاس، وعن سَاقِطِ القول ومَرْذُولِه؛ تَكُن زاكيَ النَّفْسِ، مَحْبوباً عند الخَلْقِ، مُقَرَّباً عند الخالق.



(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢/ ١٥).

الجَلِيسُ الصَّالِحُ

مَنَافِعُ الجَلِيسِ الصَّالِح

المَرءُ يَتأَثَّرُ بجَليسِه، ويُعرَف بمُجالِسِه، والمُسلمُ بمُفردِه يَضْعُفُ عن عبادة ربِّه؛ لذا لا بُدَّ له من جَليسٍ يُقوِّي عَضُدَه للسَّير إلى ربِّه، والصُّحبةُ لها شأن كبير في الإسلام.

والأنبياءُ - بل أُولُو العَزْم من الرُّسُل - اتَّخذوا لهم أصحاباً؛ فعيسى عليه السلام يقول: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] أي: مَنْ يُعينُنِي في الدَّعوة إلى اللَّه[١].

ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ اتَّخذَ له صاحباً في حياته؛ قال سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]؛ فأخبر اللَّه عز وجل بأنَّ لنبيِّنا صاحباً، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي**» متفق عليه[٢].

وقد كان النَّبيُّ ﷺ يَزُورُ صاحبَه أبا بكرٍ في دارِه في كلِّ يومٍ مرَّتَيْن؛ تقول عائشة رضي الله عنها: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً»، رقم (٣٦٥٦)، من حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، رقم (٢٣٨٣)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ: بُكْرَةً وَعَشِيَّةً» رواه البُخاريُّ[(١)].

الجَليسُ الصَّالحُ يَحفظُك في الغَيْب، ويُظهِرُ وُدَّك إذا حضرت، يُدنِيك من ربِّك، يَهْدِيك للخير، يُذَكِّرُك إذا نَسِيت، ويَحضُّك إذا غفلت؛ لا تسمع منه إلَّا قولاً طيِّباً، ولا تَرَى إلَّا فِعلاً حسناً؛ فاخْتَرْ في طريقِك ناصحاً مُخلِصاً في صُحْبَتِك، يُعينُك إذا انْثنَيْتَ، ويُقوِّي هِمَّتك إذا ضعفت، وأكثِرْ من مجالسة الصَّالحين، وأهل الخيرِ والمروءةِ ومكارمِ الأخلاق والورعِ والعلمِ والأدب.



(١) كتاب الأدب، باب هل يزور صاحبه كلَّ يومٍ أو بكرة وعشيّاً، رقم (٦٠٧٩).

الأُخُوَّةُ فِي اللَّهِ

كلُّ رَابطٍ في الحياة يَنْقَلِبُ في الآخرة إلى عداوةٍ إلَّا ما كان في ذات اللَّهِ؛ قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره[١]: «أَيْ: كُلُّ صَدَاقَةٍ وَصَحَابَةٍ لِغَيْرِ اللَّهِ تَنْقَلِبُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَدَاوَةً إِلَّا مَا كَانَ للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّهُ دَائِمٌ بِدَوَامِهِ».

واللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُحبُّ المُتَآخِين في ذاته المُتوادِّين على طاعتِه؛ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ[٢] مَلَكاً، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لِي فِي هَذِهِ القَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا[٣] عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ؛ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» رواه مسلم[٤].

المَحبَّة في اللَّهِ مَحبَّةٌ مأمونةٌ منزوعةُ المَكْرِ، بعيدةٌ عن الخيانة أو الخِذْلانِ، لا تُخشَى فيها الغوائلُ، مُتوارِيةٌ عن المصالح الدُّنيويَّة، باقيةٌ ببقاء اللَّهِ، وهو سبحانه حيٌّ لا يموت.

---

(١) (٧/ ٢٣٧).

(٢) أَي: على قَارِعَة طَرِيقِه. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢٥٥).

(٣) أي: تَقومُ عَلَيْهَا وتَسْعَى فِي صَلَاحِهَا وتَصِلُهَا. مشارق الأنوار (١/ ٢٧٨).

(٤) كتاب البرِّ والصِّلَة والآداب، باب في فضل الحبِّ في اللَّه، رقم (٢٥٦٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأُخُوَّةُ في اللَّهِ عبادةٌ مَيْسورةٌ مَمْزُوجةٌ بالمُتْعَةِ والأُنْسِ، تَزدادُ بالإيمانِ والنُّصحِ وحِفْظِ السِّرِّ وإيصَالِ النَّفعِ لأخيك وكفِّ الضُّرِّ عنه، وتَصفُو مودَّتُها بصِدْقِ الحديث ونَبْذِ الحَسَدِ ومُجانَبَةِ المَكْرِ أو النِّكايَة، آيةُ صِدْقِهَا: الوفاءُ والأمانةُ والهَديَّةُ؛ قَالَ ﷺ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا» رواه البُخاريُّ في الأَدَبِ المُفْرَدِ[١].

كمالُ الإيمان مُقَيَّدٌ بها؛ قَالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» رواه مسلم[٢].

حقيقتُهَا: جَسَدٌ واحدٌ تعدَّد فيه القلوبُ؛ قال ﷺ: «المُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ» رواه مسلم[٣]، وقال ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ: مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ» متفق عليه[٤].

وإذا كان المُؤمنُون إخوَةً؛ أَمَرُوا فيما بينهم بما يُوجِبُ تَآلُفَ القلوب واجتمَاعَهَا، ونَهَوْا عمَّا يُوجِبُ تَنافُرَ القلوب واختلافَهَا.



---

(١) باب قبول الهدية، (ص٢٠٨)، رقم (٥٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كتاب الإيمان، باب بيان أنَّه لا يدخل الجَنَّة إلا المؤمنون، وأنَّ مَحبَّة المؤمنين من الإيمان، وأنَّ إفشاء السَّلام سببٌ لحصولها، رقم (٥٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٦)، من حديث النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة النَّاس والبهائم، رقم (٦٠١١)، ومسلم، كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٦)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

جَلِيسُ السُّوءِ

لجَليسِ السُّوء تَأثيرٌ على الدِّين والسُّلُوك، والآداب والأخلاق، والطُّموحات؛ يقول ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**» رواه أبو داود[1].

ومَضرَّة قُرَناء السُّوء ظاهرة؛ ولِضَرَرِهَا على الإنسان حذَّر الإسلام من مصاحبتهم، وحرَّم المُكْث معهم، وأَوْجَبَ الهجرةَ إلى مُجتمع صالح؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

وطبيعةُ البَشَر سُرعةُ تأثُّرِهم بمَنْ يُخالِطُون؛ فيَتأثَّرون حتَّى بالبَهِيمَة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**الفَخْرُ وَالخُيَلَاءُ فِي الفَدَّادِينَ**[2] **أَهْلِ الوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ**» متفق عليه[3].

فأخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ في رعاة الإبل الكِبْر والفَخْر والخُيَلاء، وفي

(١) كتاب الأدب، باب مَن يُؤمَر أن يُجَالِس، رقم (٤٨٣٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الفَدَّادُون هم: الَّذين تَعْلُوا أَصْوَاتُهُم في حُرُوثِهِم، وفي أَمْوَالِهِم ومَوَاشِيهِم. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ١٨٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غَنَم يتبع بها شعف الجبال، رقم (٣٣٠١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه، رقم (٥٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رُعَاة الغَنم السَّكِينَة والتَّواضع، فإذا كان الإنسان يَتأثَّر بِبَهِيمةٍ لا عَقْلَ لها، ولا تَفْقَه أنتَ مراد صوتِها، مع الاختلافِ في المَأْكل والمَشْرَب؛ فما ظنُّك بالإنسان الذي يبادلك الأحاديث، وتَفْقَه قوله؛ بل قد يَؤُزُّك إلى هواه، ويُزَيِّن لك الشَّهَوات، أليس حقيقاً بأن تَتأثَّر به؟!

جَليسُ السُّوء يُبعِدُك عن ربِّك، ويَتَتبَّعُ عَثَراتِك، قريبٌ منك في السَّرَّاء، بعيدٌ عنك في الضَّرَّاء، يَلْهَث خلف ملذَّاتِه؛ فإذا حُلْتَ بينه وبين ما يشتهي نَبَذَك.

جَليسُ السُّوءِ يَضرُّك إلى آخر رَمَقٍ في حياتك، وإذا أَردْتَ أَنْ تعرف حقيقة ذلك؛ فتأمَّل قصَّة عَمِّ النَّبيِّ ﷺ أبي طالبٍ - وهو يَحْتَضِر - وبِجَانِبِه رَفِيقَا السُّوء؛ فإنه لَمَّا حَضرَت الوَفَاةُ أبا طالبٍ جَاءَه رَسُولُ اللَّه ﷺ، وعنده عبدُ اللَّه بنُ أبي أُمَيَّة وأبو جَهْل، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**، فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ - أَيْ: لَا تُسْلِمْ؛ بَلِ اسْتَمرَّ عَلَى الكُفْرِ - فَأَعَادَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَا عَلَيْهِ، فَكَانَ آخِرُ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» متفق عليه[1].

فانظر إلى حِرصِ النَّاصح المُشْفِق على عَمِّه، وهو على فراشِ الموت، يتمنَّى نجاته من النَّار، ورَفِيقَا السُّوء لم يَرْحَما ضَعْف

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا اللَّه، رقم (١٣٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أوَّل الإيمان قول: لا إله إلا اللَّه، رقم (٢٤)، من حديث المُسيَّب رضي الله عنه.

المُحْتَضر؛ بل جَلَسَا عنده يُلَقِّنَانِه الكُفرَ حتى فارق الحياة، وأَيْقَنَا أنَّه دخل النَّار مع عِلْمِهِما أنَّهما لو تَرَكَاه يموت على الإسلام لم يَضرَّهُما؛ لأنَّه سيموت، ولكن هذا شأن رفيق السُّوء.

جَليسُ السُّوء ضَرَرُه مُتجدِّدٌ في صُوَرٍ شتَّى؛ لذا شبَّهه النَّبيُّ ﷺ بنافِخ الكِيرِ[1] الَّذي يَنالُك أذاه على كلِّ حالٍ؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ؛ فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ** - أَيْ: يُعْطِيَكَ -، **وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ** - أَيْ: تَشْتَرِيَ مِنْهُ -، **وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً**» متفق عليه[2].

رَفيقُ السُّوء ضررُه ظاهرٌ للجميع، يَدعُوكَ للكَسَل عن العبادةِ وفضائلِ الأعمال، والفُتورِ عن أداء واجبات حياتك، يُدْنِي هِمَّتك العالية، لا للمَعَالي يُعْلِيك، ولا عن الدَّنايا يُجَافِيك.

جَليسُ السُّوء يَقِفُ أمام هِمَّتك العَالِية، وطُموحَاتِك السَّعيدة؛ بل إنَّ له تأثيراً حتى على مظهرك الخارجي؛ فيُسيءُ إلى سُمْعَتِك ومَكَانَتِك في المجتمع.

---

(١) كِيرُ الحَدَّاد: هو الآلة الَّتي يَنفُخُ بها الحَدَّاد على النَّار، ويكون من جِلدٍ غَلِيظٍ. المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٢٣١)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢١٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الذَّبَائِح والصَّيْد، باب المِسْك، رقم (٥٥٣٤)، ومسلم، كتاب البرِّ والصِّلَة والآداب، باب استحباب مُجالَسَة الصَّالحين، ومُجَانَبَة قُرَنَاء السُّوء، رقم (٢٦٢٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

إِذَا مَا صَحِبْتَ القَوْمَ فَاصْحَبْ خِيَارَهُمْ
وَلَا تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي[(١)]

فاحذَرْ رفيقَ السُّوء قبل أنْ تَنْدَم في الآخرة على مُصاحَبَتِه ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، واعْمَل بوَصيَّة النَّبيِّ ﷺ في اختيار الصُّحْبَة: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِناً، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**» رواه أبو داود[(٢)].



(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص١٦٥).
(٢) كتاب الأدب، باب من يُؤمَر أن يُجالِس، رقم (٤٨٣٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

المُجْتَمَعُ لَا يَدْفَعُنِي لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ

بعض المُجتمَعات تغيَّرت كثيراً؛ فَفَشَا في بعضها الكذبُ وإخلافُ الوَعْد وقطيعةُ الرَّحِم، وعقوقُ الوالِدَيْن والكَسلُ عن أداء الطَّاعات، وعدمُ التَّورُّع عن الشُّبُهات، وتَنَافَس النَّاس في دُنياهم، وعَادَى النَّاس بعضُهم بعضاً مِن أجلِها، وتَنَافَسُوا في ميادينها مع غفلةٍ جليَّةٍ عن أحوال الآخرة.

واللَّهُ ﷻ سَاقَ قَصَصَ الأنبياء وأحوالَهم وأخلاقَهم وعباداتِهم، وأَمَرَنَا بالِاقتداء بهم، والتَّأسِّي بأحوالِهم فيما لم يخالف شَرْعَنَا، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]؛ فذكر عن أهل البيت الصَّالِح - زَكريَّا وابنِه وزَوجِه - تَبتُّلَهُم إلى اللَّه ومُسابقَتهم إلى فعلِ كلِّ عملٍ صالحٍ؛ فقال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فإذا رأيتَ المُجتمعَ يَمُوجُ في خَصْلَةٍ من خِصَالِ النِّفاق بإخلافِ وُعُودِهم؛ فتذكَّر أنَّ اللَّهَ قد أثنى على إسماعيل ابن خليله عليهما السلام بالوَفَاء بالوَعْد، فقال عنه: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

وفي حالِ شُحِّ النَّاس بأموالهم وإعراضهم عن خلَّة الكَرَمِ؛ فتذكَّر

ما أخبر به سبحانه عن كرم إبراهيم عليه السلام حين رَاغَ[1] إلى أهلِه فجاء بعِجْلٍ سمينٍ حَنيذٍ[2]، وقدَّمه لثلاثة أَضْيَافٍ فقط، ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ سأله رَجلٌ مالاً؛ فأعطاه قَطِيعاً من الغَنم بين جَبَلَيْن[3].

وإذا تألَّمتَ من وقوع الانحراف في بعض المجتمعات، وقِلَّة حياء بعض النَّاس، وسعيِ بعض الشَّباب إلى عِلاقاتٍ مُحرَّمة؛ فتَذكَّر أنَّ هناك من عِبادِ اللَّه مَنْ وَهَبَه اللَّهُ جَمَالاً ونَسَباً - والنِّساءُ يدعونه إلى الفَاحِشَة - ومع ذلك يَمْتَنِع منها؛ بل يُفضِّل السِّجنَ على الفَاحِشَة، بل قد أُدْخِل السِّجْن لعدم استجابتِه؛ قال تعالى - عن يُوسُفَ عليه السلام -: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

فاجعَلْ رُسُلَ اللَّه عليهم السلام نِبْرَاسَك في العِفَّة والنَّزَاهَة، فسَلامةُ عِرض الشَّابِّ وانْتِصَارُه على الشَّهَوات تاجٌ على هامة رأسه.

وفي حالِ انفتاحِ الدُّنيا على بعض النَّاس، وجَلْبِ الخَدَمِ للنَّفْس والدَّار، قد تأنف النَّفْس بالكِبْر والخُيَلاء، فإذا أَحْسَسْتَ ذلك من نفسِك، فقُل لها: يا نَفْسُ رُوَيْداً، إنَّ أشرفَ النَّاس نَسَباً، وأَجلَّهم

---

(١) أي: مَالَ إليهم سِرّاً. الصحاح (٤/ ١٣٢٠).

(٢) أي: مَشْوِي. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٥٠).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سُئِل رسول اللَّه ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، رقم (٢٣١٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قَدْراً، وأَعْلَاهم عند اللَّه مَنْزِلةً قد حَلَب شاتَه وخدم نَفْسَه، وخَصَف[(١)] نَعْلَه[(٢)]، ونام على الحَصِير حتى أثَّر في جنبه ﷺ[(٣)].

وفي خِضَمِّ صخب الحياة الشَّاقَّة، وكثرة المعاملات مع خلق اللَّه، قد يَصْدُر منهم - في حقِّك - خطأٌ في الأقوال، أو هَفْوةٌ في الأفعال؛ فلتنصع سَجَايَاك - حِينَذَاك - بالعفو والصَّفْح عمَّن أساء إليك، وتَذكَّر أنَّ هناك مَنْ أُلْقِيَ في الجُبِّ وَحِيداً، وفي الغُرْبَة فَرِيداً، وهو حدَثٌ صغير السِّنِّ، ومع هذه المكايد عفا عمَّن فعل معه العظائم، وقال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وإذا رأيتَ كَثْرَةَ العُقُوقِ منتشراً، وعدم القيام بحقِّ الوالدين مُسْتَشْرِياً؛ فتأسَّ بيحيى عليه السلام - في برِّه بوالديه -؛ قال سبحانه مثنياً عليه: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].



(١) أي: خرَزَ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٨).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٤٩٠٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري، كتاب اللِّباس، باب ما كان النَّبي ﷺ يَتَجوَّز من اللِّباس والبُسط، رقم (٥٨٤٣)، ومسلم، كتاب الطَّلاق، باب في الإيلاء، واعتزال النِّساء، وتخييرهن، رقم (١٤٧٩)، من حديث عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه.

الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ

فَضْلُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

خيرُ الأعمال وأَبرُّها عند اللَّه: الدَّعوة إليه سبحانه، وقولُ الدَّاعِي أَحسنُ الأقوال في ميزان اللَّه؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وهي طريقة الأنبياء وأتباعهم؛ قال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وكلُّ عملٍ يقوم به المُهْتَدِي على يديك لك فيه نصيبٌ؛ يقول ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» رواه مسلم[١].

والدَّعوةُ إلى اللَّهِ من الأُسُسِ الَّتي قام عليها هذا الدِّينُ، وهي سبيلُ النَّجاة، وربُّنا ذَكر أنَّ الإنسان خاسرٌ إلَّا إذا أدَّى حقوقاً أربعة؛ هي: الإيمان باللَّه، والعملُ الصَّالح، والتَّواصي بالحقِّ، والصَّبرُ على ذلك، وقد ذَكَرَها اللَّه تعالى في سورةٍ كاملة: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

فادْعُ إلى اللَّه بحكمةٍ وأَنَاةٍ ومَوْعِظَةٍ حَسنةٍ، ولا تَتردَّدْ في دعوة

(١) كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل اللَّه بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، رقم (١٨٩٣)، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

الآخرين، فإنْ رأيتَ تكاسلاً من أحد إلى الصَّلاة فإرشادُه إلى أدائِها دَعوةٌ، وتَذكيرُ العاقِّ لوالديه بِعقابِ العقوق إرشادٌ، ومَوْعظةُ قاطعِ الرَّحِمِ نصيحةٌ.



أُحِبُّ الدَّعْوَةَ وَلَكِنِّي لَسْتُ بَلِيغاً، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟

البلاغةُ والفَصَاحةُ والبَيَانُ ليست شرطاً في الدَّعوةِ إلى اللَّه؛ فكَلِيمُ الرَّحْمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَقُلَ لِسَانُهُ عن البَيَان، وسأل اللَّهَ سبحانه بقوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ [طه: ٢٧]، وعَدوُّهُ فرعون سَخِر مِنه وقَال: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢] أي: لا يُحْسِن الكَلامَ والبَيَانَ في زعمِه(١).

ومع ذلك أَصْبَحَتْ أمَّتُهُ أكثر الأُمَم أتباعاً بعد أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ؛ فبلِّغْ بما أُوتيتَه من عِلمٍ وفَصَاحةٍ على قَدْرِ الجَهْد والطَّاقة، ولا يكن حياؤُك مانعاً لك عن تبليغ الخير لغيرك.

والدَّعوةُ إلى اللَّه ليست مُقتَصرةً على مَوعظةٍ على مِنبَرٍ أو نَصِيحةٍ في مَحْفَلٍ؛ بل إنَّ الدَّعوةَ إليه مُتنوِّعةٌ؛ فالإنكارُ على الفَرْدِ دعوةٌ، ودعمُ سُبُلِ الخير بالمال دعوةٌ، وتَسهيلُ طُرُقِ الدَّعوة دعوةٌ، وبهذا يُصْبِح المُجْتَمَع - على اختلاف فِئَاتِه - دُعاةً إلى اللَّه بالمال، والقَلَم، واللِّسَان.



(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٨٢).

النَّصِيحَةُ

الخَلْقُ مَجبُولُون على النَّقصِ وظُهور المعايب، وأَصلُ الدِّين مَبنيٌّ على النُّصحِ للخَلْقِ وإخفاءِ النَّقائصِ؛ قال ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» رواه مسلم[1].

وهي من قواعد إصلاح المجتمع، واتَّصَفَ بها رُسلُ اللَّهِ عليهم السلام في دعوتِهم لأقوامهم؛ قال اللَّه عن نُوحٍ عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢].

وقال اللَّه عن هُودٍ عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وقال اللَّه عن صَالحٍ عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وكان الصَّحابة رِضوان اللَّه عليهم يُبايِعُون النَّبيَّ ﷺ عليها؛ قال جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» متفق عليه[2].

---

(١) كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الدِّين النَّصيحة، رقم (٥٥)، من حديث تميم الدَّاريِّ رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»، رقم (٥٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الدِّينَ النَّصيحة، رقم (٥٦).

والنَّاصحُ نَاصعُ القلب، سَليمُ الصَّدر، حَسَنُ السَّريرة، مُشْفِقُ القلب، وقد عَلَت مرتبة السَّابقين بها، قَالَ ابْنُ عُلَيَّةَ[١] فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ المُزَنِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ: «مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِصَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ»، قَالَ: «الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِهِ: الحُبُّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالنَّصِيحَةُ فِي خَلْقِهِ»[٢].

وحُبُّ إصلاحِ المجتمع بالنُّصح شَرَفٌ ومِنْحَةٌ يمُنُّ بها اللَّه تعالى على عبده؛ قال الفُضَيل بن عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا مَنْ أَدْرَكَ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَإِنَّمَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا بِسَخَاءِ النَّفْسِ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَالنُّصْحِ لِلْأُمَّةِ»[٣].

وهي من أجَلِّ الأعمال؛ سُئِل ابنُ المُبَارَك رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: النُّصْحُ لِلَّهِ»[٤].

وما خَفِيَتِ النَّصيحةُ في مُجتمعٍ إلَّا ظَهَرَت فيه الغِيبةُ، ولا يَنْصَحُ لك إلَّا مَنْ أَحبَّكَ، ولتكن نصيحة المُشْفِق على خفاءٍ؛ قال ابن رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَانَ السَّلَفُ إِذَا أَرَادُوا نَصِيحَةَ أَحَدٍ وَعَظُوهُ سِرّاً، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ؛ فَهِيَ نَصِيحَةٌ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ؛ فَإِنَّمَا وَبَّخَهُ»[٥].

---

(١) هو: أبو بِشْر إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسَم الأَسَديّ مولاهم، البَصريّ، المشهور: بابن عُلَيَّة؛ وهي أُمُّه، ولد سنة (١١٠هـ)، وتوفي سنة (١٩٣هـ). سير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٥).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١٠٣).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٥).

(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٥).

وتَتعيَّن النَّصيحةُ لِمَنْ طَلبَ منك النَّصيحةَ؛ قال ﷺ: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ - ذَكَرَ مِنْهَا -: وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ» رواه مسلم[(١)].

ولتَكُنْ نَصيحتُك لأخيك مَحْفُوفةً بالشَّفَقَة والرَّأفة والمَحبَّة والمَودَّة وكمالِ النُّصح، بعيدةً عن التَّشفِّي أو الحَسَد أو الفَضِيحَة، وكلَّما كانت مُحاطةً بضوابط الشَّريعة كانت أَبْلَغَ في النَّفْسِ وأشدَّ في التَّأثير، وأسرع في التَّغيير.

ولا تتردَّد عن نصيحة أيِّ شخص ولا تَحقِرْهُ، فقد يُغيِّر اللَّه أَحوالَه بكلماتٍ يسيرة يَنْسَاها قائلُها بعد لحظات؛ ولكن لصِدْقِ قائلها يصبح لها أَثرٌ في فؤاد أخيك.



(١) كتاب السَّلام، باب من حقِّ المسلم للمسلم ردّ السَّلام، رقم (٢١٦٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ

أَهَمِّيَّةُ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ

الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المُنكر أصلٌ من أصول الشَّريعة، ومِنْ أوجَبِ قواعد الدِّين، وهو حِصْنُ الإسلامِ المَنيعُ، يَحْجِز عن الأُمَّة الفِتَنَ وشرور المعاصي، ويَحْمِي المسلمين من نَزَوات الشَّيطان ونَزَغَات الهَوَى.

وهو البناءُ المَتينُ الذي تَتماسَك به عُرَى الدِّين، يَحْفَظُ العقائدَ والسُّلوكَ والأخلاق، ويَدْرَأ المِحَنَ والرَّذائلَ، في القيام به صلاحُ الأُمَمِ، وحِفْظُ النِّعَمِ، وحلولُ الأمن، وإجابةُ الدُّعاء، وصَرْفُ كَيْدِ الأعداء مع رَفْعِ الدَّرجات، والإحسان إلى الخلْق.

به تَنْمُو في المجتمعات الآدابُ والفضائلُ، وتَخْتَفِي المنكراتُ والرَّذائلُ.



مَكَانَةُ الآمِرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ المُنْكَرِ

أعلى النَّاس قَدْراً وأرفَعُهُم شَرَفاً مَنْ أَصْلَحَ نَفْسَهُ، ثمَّ امتنَّ بالإصلاح والخيرِ على غيره، وهو مِنْ أَخصِّ صفات نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ؛ قال ﷻ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهذه الخَلَّة جعلَتْ هذه الأُمَّةَ غُرَّةً[١] في جَبِين الأُمَمِ، وتَاجاً على علو هَامِهَا بينهم، وقد مدح اللَّه المؤمنين القائمين بتلك الشَّعِيرَة؛ فقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وجَعلَ تركَهُ من أبرز صفات المنافقين؛ فقال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

القائم به مُتصدِّقٌ بلا مالٍ؛ قال ﷺ: «**وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ**» رواه مسلم[٢].

وهو عبادةٌ جَلِيلَةٌ يَقومُ بها العبد لتُمْحَى عنه ذُنوبُه وتُكفَّرُ عنه

(١) الغُرَّةُ: بياضٌ في جَبْهَة الفَرَس. الصحاح (٢/ ٧٦٧).

(٢) كتاب الزَّكاة، باب بيان أنَّ اسم الصَّدقة يَقعُ على كلِّ نوعٍ من المعروف، رقم (١٠٠٦)، من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

خطاياه؛ قال ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ؛ يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ» متفق عليه(١).



(١) رواه البخاري، كتاب الصَّوم، باب الصَّوم كفارة، رقم (١٨٩٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريباً وسَيَعُودُ غريباً، رقم (١٤٤)، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

الحِكْمَةُ مِنَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ

اعلم أنَّه ليس كل أمرٍ أو نهيٍ - تقوم به - يجِبُ معه زَوالُ المَحذُور أو أداء الواجب، فزِمَام الاستقامة بيد الهادي ﷻ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].

فالمُنكَر قد يزول بالإنكار، وقد لا يزول، فلا تجعل نَصْبَ عَيْنَيْك - وأَنتَ تُقيمُ هذه الشَّعِيرَة - إزالةَ المُنكَر؛ فمن الخطأ أن تترك الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المُنكَر إذا لم يُزَلْ.

فالأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المُنكَر يُقامُ لثمراتٍ عديدةٍ:

منها: أنَّ المُسلمَ يُؤدِّي بتلك الشَّعِيرَة عبادةً جليلةً هي من أَجَلِّ العبادات، وبأدائها يَتقرَّبُ العبد إلى ربِّه ويَكونُ المرء مُتَّصفاً بصفةٍ من صفات المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ومنها: أنَّه سببُ تكفير الذُّنوب والخطايا، وحِفْظ النِّعم، ومنع العذاب من السَّماء، وبه يُدفَع عن المجتمع شرٌّ أعظم من المُنكَر الواقع، وهو وسيلةٌ من وسائل إصلاح المجتمع والحفاظ على حِصْن

الإسلام، وبه تُحجز الأُمَّة عن الفِتَنِ وتُحْمَى من الشُّبُهات والشَّهَوات، وفيه إِحسانٌ عظيمٌ للخلق، كلُّ ذلك وغيرُه من فوائد إنكار المُنكَر.

فإنْ زَالَ المُنكَر بالإنكار؛ فهذه نعمةٌ كبرى، وإن لم يُزَل المُنكر؛ فقد جَنَى العبدُ بإقامة تلك الشَّعيرَة مَصالحَ عديدةً تَعودُ على الفرد والمجتمع بالخيرات ووُفُورِ النِّعم، وهذا من مقاصد الشَّريعَة.

وقد بيَّن ابن رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَقَاصِدَ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكَر بقوله: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ تَارَةً يَحْمِلُ عَلَيْهِ رَجَاءُ ثَوَابِهِ.

وَتَارَةً خَوْفُ العِقَابِ فِي تَرْكِهِ.

وَتَارَةً الغَضَبُ لِلَّهِ عَلَى انْتِهَاكِ مَحَارِمِهِ.

وَتَارَةً النَّصِيحَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالرَّحْمَةُ لَهُمْ، وَرَجَاءُ إِنْقَاذِهِمْ مِمَّا أَوْقَعُوا أَنْفُسَهُمْ فِيهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِغَضَبِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَتَارَةً يَحْمِلُ عَلَيْهِ إِجْلَالُ اللَّهِ وَإِعْظَامُهُ وَمَحَبَّتُهُ، وَأَنَّهُ أَهْلٌ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ»[١].



(١) جامع العلوم والحِكم (٢/ ٢٥٥).

الآمِرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ المُنْكَرِ يُؤْذَى؛ فَمَاذَا يَفْعَلُ؟

الآمِر بالمعروف والنَّاهي عن المُنكَر مُعرَّضٌ للأذى، فمَنْ أَقامَه فلا يَسْتَوحِشْ من سُلوكِ طريقِه؛ فهو عبادةٌ أداؤُها ثَمرةٌ من ثمار الإيمان، ولْيَجْعَلْ له مِن الصَّبر حِصناً مكيناً؛ واثقاً بالثَّواب على ما يتلقَّى من المشاقِّ.

قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الآمِرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ المُنْكَرِ لَا بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ مِنَ النَّاسِ أَذىً؛ فَأُمِرَ بِالصَّبْرِ»[1].

ومِنْ وصايا لقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، فأَمْرُه لابنِه بالصَّبر - بعد الأمر بالمَعروف والنَّهي عن المُنكَر - إشارةٌ إلى أنَّ مَن أدَّى تلك الشَّعِيرَة قد يُؤْذَى.

وإيَّاك وأهلَ التَّخْذِيلِ، أو الرُّكونَ إلى الضَّعف، وقِفْ مع البلاء بالإيمان والتَّوكُّل، واصْبِرْ واحْتَسِبْ، وواصِلِ الجهد، وخاطِب النَّاس على ضَوْء قولِه تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].



(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٣٨).

أَضْرَارُ تَرْكِ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ

مَنْ ترك الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المُنكر - مَخافةَ المخلوقين - نُزعت منه الطَّاعةُ، وزالت عنه المَهَابةُ، فاحْذَر المُداهَنَةَ[١]؛ فهي بابٌ من الذُّلِّ والهَوَان عَريضٌ، ولا تَأْسَفْ على مَنْ قَلَاكَ[٢]، ولا مَنْ فَارَقَك لِأَمْرِكَ أو نَهْيِكَ له، واقطَعْ أَطمَاعَكَ من الخَلْقِ، وثِقْ بكفاية رَبِّ الخَلْقِ.

والقيامُ بهذه الشَّعِيرَة لا يَقْطَع رِزقاً، ولا يُقَرِّب أَجَلاً، وتَرْكُ هذه الشَّعِيرَة إِيذانٌ بسَخَطِ اللَّه على الخَلْقِ؛ قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه[٣]: «مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَلْبُهُ المَعْرُوفَ، وَيُنْكِرْ قَلْبُهُ المُنْكَرَ؛ نُكِسَ[٤]، فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ»[٥].

ومَنْ تَرك هذه العبادة استَخَفَّ به أهلُ العِصْيَان، وسَلَّط اللَّه عليه مَنْ يَأمُرُه ويَنهَاهُ بما يُضادُّ الشَّريعَة.



(١) هي: أنْ تَرَى مُنْكَراً وتَقْدِر على دَفْعِه ولا تَدْفَعه؛ حِفْظاً لجَانِب مُرْتَكِبه، أو جَانِبِ غيره. التعريفات (ص٢٠٧).
(٢) أي: أَبْغَضَك. لسان العرب (١٥/ ١٩٨).
(٣) هو: أمير المؤمنين أبو الحسن عليُّ بن أبي طالب بن عبد المطَّلب الهَاشميّ القُرشيّ، ابن عمِّ رسول اللَّه ﷺ، أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، قَتَلَه ابن مُلْجِم سنة (٤٠هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٨٩).
(٤) أي: قُلِب. الصحاح (٣/ ٩٨٦).
(٥) ذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ٢٨٢).

هَلْ أُنْكِرُ المُنْكَرَ وَأَنَا أَفْعَلُ المَعْصِيَةَ؟

تَرْكُ الذَّنبِ ليس شرطاً في النَّاهي؛ بل ينهى العُصَاة بَعضُهم بعضاً، ويجب على المُسْلمِ الأمرُ بالمعروف - وإنْ لم يَمْتَثِلْهُ -، ويَلزَمُه النَّهيُ عن المُنكر - وإن ارتكَبَه -، وتَبْقَى ثُلْمَة[1] مخالفة الفِعْلِ القولَ، يقول أبو الدَّرداء رضي الله عنه[2]: «إِنِّي لَآمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَمَا أَفْعَلُهُ، وَلَكِنْ لَعَلَّ اللَّهَ يَأْجُرُنِي فِيهِ»[3].

فمَنْ كان يَستَمِعُ إلى الأغاني - ورأى رَجُلاً يَستَمِعُ إليها - وَجَبَ عليه أنْ يُنكِرَ عليه سمَاعَه لذلك المُحرَّمِ؛ لأنَّه إذا سَكَتَ عن المُنكَرِ جَمَعَ بين مُحرَّمَيْن: الأوَّل: استِمَاعُه للأغاني، والثَّاني: السُّكوتُ عن ذلك المُنكَرِ، وعدمُ إنكارِه.

ومَنْ رأى ذا مُنكَرٍ ولم يَنْهَه؛ فقد أعانه عليه بالتَّخْلِيَة بَيْنَه وبين مَعصِيتِه، والسُّكوتُ عن الذَّنْب تَزْيِينٌ للمعصية في الصُّدُور، ومُجانَبةُ المُنكَرِ من مُقْتَضَيَات إنكارِ المُنكَرِ في القلب.



---

(١) أي: ثَغْرَة. لسان العرب (١٢/ ٧٩).

(٢) هو: أبو الدَّرداء عُوَيْمِر بن عامر بن مالك الخَزْرجيّ الأنصاريّ، شَهِد ما بعد أُحُد من المشاهد، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦٤٦)، أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/ ١٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٤٥).

كَيْفَ أُنْكِرُ المُنْكَرَ؟

المُنكَرُ يَنقسمُ إنكارُه إلى ثلاثِ دَرجاتٍ:

الدَّرَجَةُ الأُولَى: الإنكارُ باليَدِ، وذلك حَالَ القُدْرَةِ على إِزَالَتِه؛ كالزَّوج في داره يُزِيلُ المُنكَرَ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيةُ: الإنكارُ باللِّسانِ، وذلك في حالِ تعذُّرِ الإنكارِ باليَدِ، كمَنْ يرى امرأةً مُتبرِّجَةً في الأسواق؛ فهذا يُنكِرُ عليها باللِّسان بالحِكْمَة.

الدَّرَجَةُ الثَّالِثةُ: الإنكارُ بالقلب، وذلك في حالِ تعذُّرِ الإنكارِ باليَدِ واللِّسانِ، وهذه أَضْعَفُ درجاتِ الإنكارِ، وإنكارُ الخطيئة بالقلب فَرْضٌ على كلِّ مُسلمٍ، لا يَسْقُطُ عن أَحدٍ في حالٍ من الأحوال.

يقول ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**» رواه مسلم[(١)].

قال ابن رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنْكَارُهُ بِالقَلْبِ لَا بُدَّ مِنْهُ، فَمَنْ لَمْ يُنْكِرْ قَلْبُهُ المُنْكَرَ؛ دَلَّ عَلَى ذَهَابِ الإِيمَانِ مِنْ قَلْبِهِ»[(٢)].

---

(١) كتاب الإيمان، باب النَّهي عن المُنكَر من الإيمان، رقم (٤٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٤٥).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «القَلْبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَرَاهَةُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ؛ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنَ الإِيمَانِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ الثَّوَابَ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: (مِنَ الإِيمَانِ)[1] أَيْ: مِنْ هَذَا الإِيمَانِ - وَهُوَ الإِيمَانُ المُطْلَقُ -؛ أَيْ: لَيْسَ وَرَاءَ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَا هُوَ مِنَ الإِيمَانِ وَلَا قَدْرُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ.

وَالمَعْنَى: هَذَا آخِرُ حُدُودِ الإِيمَانِ، مَا بَقِيَ بَعْدَ هَذَا مِنَ الإِيمَانِ شَيْءٌ؛ لَيْسَ مُرَادُهُ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنَ الإِيمَانِ شَيْءٌ»[2].

والمُنكَر يُزالُ بالحِكْمَة والاستطاعة، وعدمِ الوقوع في مُنكَرٍ أو مَفْسَدةٍ أعظم منه.



(١) يَقْصِد حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النَّهي عن المُنكر من الإيمان، وأنَّ الإيمانَ يَزيدُ ويَنقصُ، وأنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المُنكَر واجبان، رقم (٥٠).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٥٢).

مَاذَا أَصْنَعُ مَعَ أَهْلِ المَعَاصِي؟

لا تَتَزَعْزَع عن هداية الخلْق ولو كثُر الِانحراف، ولا تَيْأَس عن السَّيْر في دعوتِك فَهُمْ بحاجتك، وأَيقِنْ - دوماً - بأنَّ الذِّلَّةَ مُحيطةٌ بأهل المعاصي، ولو تَظاهَرُوا بالعِزَّة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

فأهل المعاصي دائرٌ عليهم لباس الذِّلَّة كلٌّ بحَسبِ عِصْيَانِه؛ يقول ﷺ: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» رواه أحمد[1]، وأهل الطَّاعة هم أهل العِزَّة، وبقَدْرِ طاعتِك تَعْتزّ؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

فأَنتَ العزيزُ في مُجْتَمَعِك، فاخفِضْ جَناحَك لِمَن ابْتُلِيَ بمعصية؛ بدعوته بحكمةٍ ولِينٍ ورَوِيَّة، وعدمِ احْتِقَارٍ له، مع كثرةِ الدُّعاء له بالهداية؛ فبحُسْنِ الخُلُق مع الدَّعوة تكسب القلوب.



(١) في المسند، رقم (٥٦٦٧)، من حديث ابن عُمَر رضي الله عنهما.

لَا تَيْأَسْ مِنْ نُصْحِ صَاحِبِ المُنْكَرِ

اطرُقْ بابَ قلب العاصي مِراراً؛ فلا تَعْلَم متى يَفْتَحُ اللَّه قلبَه على يديك، فنُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكَثَ في قومِه أَلْفَ سنةٍ إلَّا خمسين عاماً وهو يدعو قومَه غيرَ يَائسٍ من دعوتِهم، فمتى رأيتَ ذا منكرٍ على معصية فبَادِرْهُ بالنَّصيحة بحكمةٍ ولِينٍ، ولا تُرجِئ النَّصيحة؛ فقد يَلْقَى المُقصِّر ربَّه وهو على معصية، وأنتَ لم تُبْدِ له النُّصح؛ فتَتَحسَّر على تقصيرك.



الصَّبْرُ عَلَى المُسْتَهْزِئِينَ

الهداية مِنحةٌ من الكريم لا تُسدَى لكلِّ أَحدٍ، وسُنَّةُ اللَّه في هذه الحياة ابتلاءُ مَنْ تَمسَّك بهذا الدِّين؛ لِتَمْحِيص الصَّادق في الاستقامة؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

ورُسُلُ اللَّه سَخِرَ أَقوامُهُم منهم؛ قال تعالى عن قوم نُوحٍ: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].

وأخبر ﷻ أنَّ كلَّ رَسولٍ يُبعَث يُبهَت بالسِّحْر، ويُرمَى بالجُنون سُخريةً منه؛ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

والصَّحابةُ سُخِر منهم؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٣٠-٣١].

فالسُّخريةُ من المصلحين سُنَّةٌ جارية؛ فمَنِ استهزأ باستقامتك، أو إرخَاءِ لِحْيَتِك، أو تطبيقِ السُّنَّة في مَلبَسِك؛ فلا تَحْزَن، فإنَّ دَافِعَه الهوى أو الجهل، والسَّاخِرُ في عُمْق نفسه يَتَمنَّى الهداية ولكنَّه لا يَمْلِكُها؛ قال سبحانه عن أهل الضَّلالَة: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، بل ويَعلم أنَّ الحَقَّ هو ما سَلَكْتَه؛ قال سبحانه:

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وإذا سُخِر منك فالزَمْ ما لَزِمَه الأنبياءُ؛ من الصَّبْر والعَفْو والحِلْم والأَناة، والإعراضِ عمَّن آذاك؛ قال سبحانه لِنَبيِّه ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]، فأمَرَ اللَّه بالعَفْو والصَّفْح، وقال ﷻ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وإذا سُخِرَ منك فالْزَم الصَّبْر، ولا تُحْبِط العَمَلَ بالجَزَعِ أو الهَلَعِ على تَمسُّكِك بهذا الدِّين.



لَا تَضْعُفْ

قَضى اللَّه تعالى في سُنَنِه أنَّ ذَوِي العصيان أكثر عدداً ممَّن يُطيعُ الرَّحْمن؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

فإذا رأيتَ أنَّ أهلَ المعاصي هم الكثرةُ الغالبة؛ فلا يَكُنْ هذا صادّاً لك عن تَمسُّكِك بهذا الدِّين، وانْظُرْ إلى الحَقِّ، ولا تَنْظُرْ إلى العَدَد من الأشخاص، فاللَّهُ وصف إبراهيم عليه السلام بأنَّه أُمَّة - وهو وحده -؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وابن مَسعودٍ رضي الله عنه يقول: «أَنْتَ أُمَّةٌ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ»(١).

وكَثرَةُ الانحراف تَدْعُوكَ للتَّمسُّكِ بدينِك، لا الضَّعْفِ في التَّمسُّك به؛ لأنَّ ذلك يَدْعُوكَ إلى شُكرِ نعمة اللَّه عليك، بأن اصطفاك للهداية من بين خلْقه، وأَضلَّ غيرك، ممَّا يُوحِي إليك بتذكُّر هذه النِّعمة العظيمة والمِنْحَة الإلهيَّة الجليلة عليك.

وهذا ممَّا يَزِيدُكَ هدايةً ودَعوةً لغيرك؛ يقول الفُضَيْل بن

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٢١)، رقم (١٦٠).

عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا تَغْتَرَّ بِالبَاطِلِ لِكَثْرَةِ الهَالِكِينَ، وَلَا تَسْتَوْحِشْ مِنَ الحَقِّ لِقِلَّةِ السَّالِكِينَ»[١].

فإذا سَلَكْتَ طريق الحقِّ، فاعلم أنَّ الخَلْق يَودُّون أنَّهم على الحقِّ مثلك، ولكن الهداية لا تتحقَّق بالأماني، فَاحْمَد اللَّهَ أنْ مَنَّ عليك بالاستقامة.



(١) الأذكار للنووي (ص١٠٨).

الصَّبْرُ

الأَنْبِيَاءُ وَالِابْتِلَاءُ

بالابتلاء يُرفَعُ شَأنُ الأخيَار، ويَعظُمُ أَجرُ الأبرار، يقول سعد بن أبي وقَّاص ﵁: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ؛ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ؛ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ البَلَاءُ فِي المُؤْمِنِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» رواه أحمد[١].

وطريق الابتلاء مَعْبَرٌ شاقٌّ، تَعِبَ فيه آدمُ، ورُمِي في النَّار الخَليلُ، وأُضْجِعَ للذَّبْح إسماعِيلُ، وأُلْقِي في بطن الحوت يُونسُ، وقَاسَى الضُّرَّ أَيُّوبُ، وبِيعَ بثَمَنٍ بَخْسٍ يُوسُفُ، وأُلْقِي في الجُبِّ إفكاً، وفي السِّجْنِ ظُلْماً، وتَعرَّض لأنواعِ الأَذَى نَبيُّنا مُحمَّدٌ عليهم الصَّلاة والسَّلام جميعاً، وأنتَ على سُنَّة الابتلاء سائرٌ.

والمؤمن يُبتَلَى ليُهَذَّبَ لا ليُعَذَّبَ، والمُصيبةُ حقّاً إنَّما هي المصيبة في الدِّين، وما سِواها من المصائب فهي عافيةٌ، فيها رَفْعُ الدَّرجات وحطُّ السَّيِّئات، فلا تَأْسَ على ما فاتَكَ من الدُّنيا، فنوازِلُها أَحداثٌ، وأَحاديثُهَا غُمومٌ، وطَوارقُها هُمومٌ، فالأنبياء لمَّا ابْتُلوا صَبَرُوا، فاصْبِر - أيُّهَا المُبْتَلَى - كما صَبَر صَفْوَةُ البَشَر عَليهمُ الصَّلاة والسَّلام؛ لَعلَّ اللَّهَ أنْ يَحشُرَك معهم في الآخرة.

(١) في المسند، رقم (١٤٨١).

الصَّبْرُ عَلَى المَصَائِبِ

المَرءُ في حياته معَرَّضٌ للفِتَن والرَّزَايا، والمِحَنِ والبَلَايَا، ولا يَنْصَعُ نور الإيمان ويَرْسَخُ اليقين إلَّا بالتَّمْحِيصِ والابتلاء.

والحياةُ مَبنيَّةٌ على المَشاقِّ ورُكوبِ الأخطار، ولا يَطْمَعُ أَحدٌ أنْ يَخْلصَ من المِحْنَة والأَلَم؛ ولكن ما بين مُقِلٍّ ومُسْتَكْثِرٍ؛ قال ابن الجَوْزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ يُرِيدُ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ، وَالنَّصْرُ عَلَى مَنْ يُعَادِيهِ، وَالعَافِيَةُ مِنْ غَيْرِ بَلَاءٍ، فَمَا عَرَفَ التَّكْلِيفَ وَلَا فَهِمَ التَّسْلِيمَ»[1].

ولا بُدَّ من حصول الأَلَمِ لكلِّ نَفْسٍ - سواءٌ آمنَتْ أم كفرَتْ -، والابْتِلَاءَات يَتبيَّن بها الصَّادق مِنَ الكاذب؛ قال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

وما الابتلاءُ إلَّا عكس المقاصد وخلاف الأماني، والدُّنيا لا تَصْفُو لأحدٍ - ولو نال منها ما عساه أنْ ينال -؛ يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ**» رواه البُخاريُّ[2].

والمَرءُ يَتقلَّب في زمانه؛ في تَحوُّلٍ من النِّعَم، واستقبالٍ للمِحَنِ، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ لَمْ تَزَلْ هَدَايَاهَا تَأْتِيهِ مِنَ المَكَارِهِ، وَمَنْ خَلَقَهُ لِلنَّارِ لَمْ تَزَلْ هَدَايَاهَا تَأْتِيهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ»[3].

---

(١) صيد الخاطر (ص٣٠٢).

(٢) كتاب المرضى، باب ما جاء في كفَّارة المرض، رقم (٥٦٤٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الفوائد (ص٣٢).

وَالمُؤمِنُ الحَازِمُ يَثْبتُ لِلعَظائِمِ، ولا يَتغَيَّر فُؤادُه، ولا يَنطِقُ بالشَّكْوَى لِسَانُهُ، وَكِتْمَانُ المَصَائِبِ وَالأَوْجَاعِ مِنْ شِيَمِ النُّبَلَاءِ، وَمَا هَلَكَ الهَالِكُونَ إِلَّا مِنْ نَفَادِ الجَلَدِ.

فَخَفِّفِ المُصابَ عن نفسِك بِوَعْدِ الأَجْرِ وتَسْهِيلِ الأمْرِ؛ لِتَذْهَبَ المِحَنُ بلا شكوى، وتَذَكَّرْ - دَوْماً - أنَّه ما مَنَعك إِلَّا لِتُعْطَى، ولا ابْتَلَاك إِلَّا لِتُعَافَى، ولا امْتَحَنَكَ إِلَّا لِتُصَفَّى.



كَيْفَ تَهُونُ عَلَيَّ المُصِيبَةُ؟

يقول ابن الجَوْزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَيْسَ فِي التَّكْلِيفِ أَصْعَبُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى القَضَاءِ، وَلَا فِيهِ أَفْضَلُ مِنَ الرِّضَا بِهِ»[١].

ومَنْ تأمَّلَ بَحرَ الدُّنيا، وعَلِمَ كيف يَتلقَّى الأمواج، وكيف يَصْبِرُ على مُدافَعَة الأَيَّام؛ لم يَتهوَّلْ نُزولَ بلاءٍ، ولم يَفْرَحْ بعاجلِ رخاءٍ، فلا تَتألَّمْ على فواتِ حُظُوظِ الحياة، وأَنْزِلْ ما أَصَابَك مِن ذَلِك - ثمَّ انْقَطع - مَنْزلةَ مَا لم يُصِبْ، وأَنْزِلْ ما طَلَبْتَ مِن ذَلِك - ثمَّ لَمْ تُدْرِكْهُ - مَنزلةَ ما لَمْ يُطْلَب.

يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ لِي شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَرَّةً: العَوَارِضُ وَالمِحَنُ هِيَ كَالحَرِّ وَالبَرْدِ، فَإِذَا عَلِمَ العَبْدُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُمَا؛ لَمْ يَغْضَبْ لِوُرُودِهَا، وَلَمْ يَغْتَمَّ لِذَلِكَ، وَلَمْ يَحْزَنْ»[٢].

فطَوَارِقُ الحياة هُمُومٌ، والنَّاسُ فيها مُعذَّبون على قَدْرِ همِّهم بها، الفَرَحُ بها هو عَيْنُ المَحْزُون عليه، آلامُها مُتولِّدةٌ مِن لَذَّاتِها، وأَحْزانُها من أَفْرَاحِهَا؛ يقول أبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا»[٣].

---

(١) صيد الخاطر (ص١٠٧).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٦١).

(٣) البيان والتبيين (١/ ٢٢٠).

فأَيقِنْ بقَدَرِ اللَّه وخلْقِه وتَدبِيرِه، واصبِرْ على بلائِه وحُكْمِه، واسْتَسلِمْ لأَمْرِه؛ فالدُّنيا طافحةٌ بالأنكاد والأكدار، مَطبوعةٌ على المَشاقِّ والأهوال؛ قال ابن مُفْلِح رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «وَكَانَ شَيْخُ الإِسْلَامِ كَثِيراً مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذَا البَيْتِ:

بَيْنَا يُرَى الإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِراً   حَتَّى يُرَى خَبَراً مِنَ الأَخْبَارِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا   صَفْواً مِنَ الأَقْذَارِ وَالأَكْدَارِ»[٢]

وكُن مؤمناً بالأقدار؛ فالإيمانُ بها رُكنٌ من أركان الدِّين، وليس كلُّ ما يُتمنَّى يُدرَك، وبالإلْحَاحِ في الدُّعاء والتَّوجُّهِ إلى اللَّه بالكُلِّيَّة تُفتَحُ الأبواب، ويَتحقَّق المرغوب، وأَجْمِع اليأسَ ممَّا في أيدي النَّاس تَكُنْ أغناهم، ولا تَقْنَط فتُخذَل، وتذكَّر كثرة نِعَمِ اللَّه عليك، وادْفَع الحزن بالرِّضا بمَحْتُوم القضاء، فطُولُ اللَّيل - وإنْ تَنَاهَى - فالصُّبحُ له انْفِلَاج، وآخرُ الهَمِّ أوَّلُ الفَرَج، واضْرَع إلى اللَّه يَزْهُو نَحْوَك الفَرَجُ، وما تَجرَّع كأسَ الصَّبرِ مُعْتصِمٌ باللَّه إلَّا أتاه المَخرجُ.



(١) هو: أبو عبد اللَّه شمس الدِّين مُحمَّد بن مُفْلِح بن مُحمَّد بن مفرج، المَقْدِسيّ الحنبليّ، ولد سنة (٧٠٧هـ)، وتوفي سنة (٧٦٣هـ). المقصد الأرشد (٢/ ٥١٧)، السحب الوابلة (٣/ ١٠٨٩).

(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٢٤٧).

طَلَبُ العِلْمِ[1]

(١) وفي كِتابِنَا : «أَسْهَلُ طَرِيقةٍ لِحِفْظِ القُرآنِ الكَرِيمِ وَطَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ» تَفْصِيلٌ لهذا المَبْحَث.

المُحَافَظَةُ عَلَى الوَقْتِ

الأَيَّامُ أجزاءٌ من العمر، ومراحلُ من الطَّريق، تَفْنَى يوماً بعد يوم، ومُضِيُّها استِنْفَادٌ للأعمار، واستِكْمَالٌ للآثار، وقُرْبٌ من الآجال، وغَلْقٌ لخزائن الأعمال، والشَّابُّ الحاذِقُ يَغتَنِمُ زهرةَ شبابِه في حِفْظِ القرآن والمُتُون، وحضورِ دُرُوسِ العُلَمَاء، وقِرَاءةِ الكتب، والعبادة؛ عَملاً بوَصِيَّة النَّبِيِّ ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ» رواه مسلم[١]، وما نَبَغَ مَنْ نَبَغَ من العُلَمَاء إلَّا بمُحَافَظَتِهِم على أعمارهم - بحفظ زمانهم -، وصُحْبَةٍ صالحةٍ أعانتهم على طاعة ربِّهم.



(١) كتاب القدر، باب فِي الأمر بالقوة، وترك العجز، والاستعانة باللَّه، وتفويض المقادير للَّه، رقم (٢٦٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَضْلُ العِلْمِ

العِلمُ أَفضلُ مُكْتَسَبٍ، وأشْرَفُ مُنْتَسَبٍ، وأَنْفَسُ ذَخِيرَةٍ تُقْتَنَى، وأَطْيَبُ ثَمَرَةٍ تُجْتنَى، وما اكتَسَبَ مُكتَسِبٌ مثلَ عِلمٍ يَهْدِي صَاحبَه إلى هدىً، أو يَردُّه عن رَدىً؛ يقولُ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ[1]: «مَنْ طَلَبَ العِلْمَ فَقَدْ بَايَعَ اللَّهَ»[2].

وهو مِيراثُ النُّبُوَّة؛ كما قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]، ومَنْ أَوْرَثَه اللَّهُ عِلْمَ الكِتاب والسُّنَّة فقد اصطفاه؛ يقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً؛ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه[3].

طَلَبُ العِلْم والاستزادةُ منه شرفٌ لا يُضاهَى، وفضلٌ لا يُحَدُّ، ثمراتُه معجَّلة، وقُطوفُه دانِيَةٌ، طالبُه منظومٌ في سِلْكِ العظماء ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

ولا أَنفَعَ - بإذن اللَّه - للعبد من التَّحصُّن بعِلم الشَّريعَة.

---

(١) هو: أبو مُحمَّد سفيان بن عُيَيْنَة بن أبي عمران ميمون الهِلَاليّ، وُلد سنة (١٠٧هـ)، وتوفي سنة (١٩٨هـ). سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العِلم والإرادة (١/ ٧١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ يُقَاتِلُونَ» وهم أهل العِلم، رقم (٧٣١٢)، ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب النَّهي عن المسألة، رقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

سلوكُ طَريقِه تَوفيقٌ للخُلُود في الجِنَان، والملائكةُ لمُجَالَسَة أَهلِه راغبون، والخَلْق عنهم راضون، ولِصَنيعِهِم مُسْتَغْفِرُون.

العُقَلاءُ مُطْبِقُون على تعظيم العِلْمِ والحَثِّ على تَحصيلِه، وقد رفع اللَّه بالعِلْمِ أقواماً، فجَعَلَهُم في الخير قادةً؛ فكم مِنْ وَضِيع رَفَعَهُ العِلْمُ إلى مَصَافِّ الشُّرَفَاء! وكم مِنْ حَقيرٍ عند النَّاس نَظَمَهُ العِلْمُ في سِلْكِ العُظَماء!

تحبُّ الملائكة مُجَالَسَة أَهلِه، وبأجنحتها تَحفُّهُم، ومَنْ في السَّموات ومَنْ في الأرض مُسْتَغفِرٌ لهم؛ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً؛ سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً؛ وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» رواه أبو داود[١] وَالتِّرمذيُّ[٢].



---

(١) كتاب العِلم، باب الحثِّ على طلب العِلم، رقم (٣٦٤١)، من حديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه.

(٢) كتاب العِلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٢)، من حديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه.

فَوَائِدُ العِلْمِ

العُلومُ النَّافعةُ تُصْلِحُ العقائدَ، وتُزَكِّي النُّفوسَ، وتُهَذِّبُ الأخلاقَ، وتَكُون بها الأعمالُ الصَّالِحةُ مُثمِرةً الخيرات، والعِلمُ هو الأنِيسُ في الوحدة، والصَّاحب في الخَلْوَة، ومَنَارُ سبيل الجَنَّة، وهو عبادةٌ جَلِيلَة مِنْ أَجَلِّ العبادات؛ يقولُ بِشْرٌ الحَافيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ عَمَلاً أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ»[1].

مَنْ غَرَسَ العِلْم اجتَنَى النَّباهَة، ومَنْ غَرَسَ الوقار اجتَنَى المَهَابَة.

قَالَ ابنْ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَائِدَةِ العِلْمِ وَالِاشْتِغَالِ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ يَقْطَعُ المُشْتَغِلُ بِهِ الوَسَاوِسَ المُضْنِيَةَ، ومَطَارِحَ الآمَالِ الَّتِي لَا تُفِيدُ غَيْرَ الهَمِّ، وَكِفَايَةُ الأَفْكَارِ المُؤْلِمَةِ لِلنَّفْسِ؛ لَكَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ دَاعٍ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ وَلَهُ مِنَ الفَضَائِلِ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ؟»[3].



(١) شرف أصحاب الحديث (ص٨٢).

(٢) هو: أبو مُحمَّد عليُّ بن أحمد بن سعيد بن حزم القُرطبيّ، وُلد سنة (٣٨٤هـ)، وتوفي سنة (٤٥٦هـ). بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (٤١٥)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤).

(٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص٢١).

تِلَاوَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ

تَكَرَّم اللَّهُ على قارئ القرآن بالثَّوابِ الجزيل؛ قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» رواه التِّرمذيُّ[1].

وتلاوةُ القرآن من أسباب الثَّبات؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أُنْزِلَ مُنَجَّماً[2] فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً بِحَسَبِ الوَقَائِعِ وَالحَوَادِثِ، وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الأَحْكَامِ؛ لِتَثْبِيتِ قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ بِهِ»[3].

والقُرآنُ حُجَّةٌ لأهلِه يوم الدِّين، وشَافعٌ مُشفَّعٌ عندَ ربِّ العالمين، قال النَّبيُّ ﷺ: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ» رواه مسلم[4].



---

(١) أبواب فضائل القرآن عن رسول اللَّه ﷺ، باب ما جاء فيمَنْ قرأ حرفاً من القرآن ما لَه من الأجر، رقم (٣١٧١)، من حديث عبد اللَّه بن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: مفرَّقاً. تاج العروس (٣٠/ ٤٧٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٩).

(٤) كتاب صلاة المسافرين وقَصْرِها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم (٨٠٤)، من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

حِفْظُ القُرْآنِ الكَرِيمِ

حَافظُ القُرآنِ مع المَلائكةِ الكِرَام؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ؛ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ**» رواه البُخاريُّ[(١)].

ووَصيَّةُ العُلَمَاء: حِفْظُ كتاب اللَّه العظيم؛ قال ابن الجَوْزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِيَنْظُرْ مَا يَحْفَظُ مِنَ العِلْمِ؛ فَإِنَّ العُمُرَ عَزِيزٌ، وَالعِلْمَ غَزِيرٌ، وَإِنَّ أَقْوَاماً يَصْرِفُونَ الزَّمَانَ إِلَى حِفْظِ مَا غَيْرُهُ أَوْلَى مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ العُلُومِ حَسَناً؛ وَلَكِنِ الأَوْلَى تَقْدِيمُ الأَهَمِّ وَالأَفْضَلِ؛ وَأَفْضَلُ مَا تُشُوغِلَ بِهِ حِفْظُ القُرْآنِ»[(٢)].

وكِبَرُ السِّنِّ لا يَمنعُ مِنْ حِفظِ القُرآنِ، فنُزولُ الوَحْيِ اكْتَملَ وعُمرُ أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واحدٌ وسِتُّون عاماً، ومع ذلك حَفِظَ كامل القرآن، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ الَّذِين حَفِظُوا القُرْآنَ كُلَّهُ»[(٣)]، وأبو عبد اللَّه بن عُمَر ابن حَمُّويَه[(٤)] رَحِمَهُ اللَّهُ حَفِظَ القرآن، وكان

---

(١) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ زُمراً، رقم (٤٩٣٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يَتَتَعْتَعُ فيه، رقم (٧٩٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) صيد الخاطر (ص١٩٣).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٩١).

(٤) هو: أبو مُحمَّد عبد اللَّه بن عُمَر بن عَليّ، ابن حَمُّويَه، الجُوينيّ، ولد سنة (٥٦٦هـ)، وتوفي سنة (٦٤٢هـ). سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٩٦).

قد بلغ الثَّمانين[(١)].

ومَنْ لَمْ يحفظْ شيئاً من كتاب اللَّه فقَلبُه كالبيت الخَرِب، قال رسول اللَّه ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ**[(٢)] **شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ**» رواه التِّرمذيُّ[(٣)].



(١) البداية والنهاية (١٧/ ٢٧٥).

(٢) أي: قَلبِه. مرْقَاة المفاتيح (٤/ ١٤٧٠).

(٣) أبواب فضائل القرآن، رقم (٢٩١٣)، من حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

حِفْظُ المُتُونِ العِلْمِيَّةِ

عُلُومُ الإسلامِ مُتنوِّعةٌ ما بين مُتُونٍ وشُرُوحٍ، ولِأهمِّيَّةِ المُتُون في ضبط العِلْم حثَّ العُلَماءُ على حِفْظِها، قال ابن الجَوْزيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «لَيْسَ العِلْمُ إِلَّا مَا حَصَلَ بِالحِفْظِ»[(١)].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وَلْيَجْتَهِدْ أَن يَعْتَصِمَ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوابِ العِلْمِ بِأَصْلٍ مَأْثورٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ»[(٢)].

وقال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَبَعْدَ حِفْظِ القُرْآنِ يَحْفَظُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مُخْتَصَراً وَيَبْدَأُ بِالأَهَمِّ، وَمِنْ أَهَمِّهَا: الفِقْهُ، وَالنَّحْوُ، ثُمَّ الحَدِيثُ، وَالأَصُولُ، ثُمَّ البَاقِي عَلَى مَا تَيَسَّرَ»[(٣)].

وقال ابن الجَوْزيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «ثُمَّ لِيَنْظُرْ مَا يَحْفَظُ مِنَ العِلْمِ؛ فَإِنَّ العُمُرَ عَزِيزٌ، وَالعِلْمَ غَزِيرٌ»[(٤)].

وقال الوالد مُحمَّد بن عبد الرَّحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللهُ[(٥)] - كما وَجدْتُه

---

(١) الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ (ص٣٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٦٦٤).

(٣) المجموع شرح المهذب (١/ ٣٨).

(٤) صيد الخاطر (ص١٩٣).

(٥) هو: مُحمَّد بن عبد الرَّحْمن بن مُحمَّد ابن قاسم، من آل عاصم، من قبيلة قحطان، توفي سنة (١٤٢١هـ). جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وفتاوى الشيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُمَا اللهُ.

بخَطِّه -: «مَنْ حَفِظَ الأُصُولَ غَنِمَ الوُصُولَ، وَمَنْ ضَيَّعَ الأُصُولَ حُرِمَ الوُصُولَ، وَأُبْعِدَ عَنِ الأُصُولِ، وَطَالَتْ عَلَيْهِ الفُصُولُ، وَفَقَدَ حَتَّى القَلِيلَ المَحْصُولَ، وَلَوْ ظَنَّ أَنَّ لَهُ إِلَى السَّمَاءِ وُصُولاً».



حُضُورُ دُرُوسِ العُلَمَاءِ

حُضورُ دروسِ العلماء عبادةٌ جليلةٌ؛ ففي دُروسِهم زيادةُ إيمان، ومُجالسةٌ للصَّالحين، ونُصحٌ للأُمَّة، وتَعْلُو وُجُوهَهُم خَشيةُ اللَّهِ ومُراقبتُه، وتَنتفعُ بمُجَالَسَة العَالِم الشَّفَقةَ على الضُّعَفاء ومُواسَاةَ الفُقَرَاء.

في دَرْسِهِم: سَمْتُ العُلَمَاء، وفي حَدِيثِهِم: الصِّدقُ، وعلى جَوَارِحِهِم: أَمارةُ نَقَاء السَّريرَةِ وكَثْرَة العبادة، حِفْظٌ دائمٌ لزمان دهرهم، حُسْنٌ في التَّعامل في أفعالهم، حِلْمُ الشُّيوخ وحكمةُ العُقلاء، ومع أقرانهم: وفاءُ الصَّدِيق وحِفْظُ الودِّ، ومع الغريب: إكرامُ الضَّيفِ، مَجالسهم: تذكيرٌ بسِيَرِ الأفذاذ من الأسلاف، شَحْذٌ دائم لأمور الآخرة.

في دُروسِهم: يَلتَقِط النَّاشِئُ ما في صدورهم من لبَابِ[(١)] الكُتُبِ، حَفِظُوا أَحْسنَ ما قَرَؤُوا، وأَظْهَرُوا زَهْرَةَ ما حَفِظُوا، في حَلَقَاتِهِم: تَصحيحٌ لألفاظ ما في بُطُونِ الكُتُبِ، وإِرْشَادٌ لخيرِ ما يُقْرَأ، وخُلَاصةِ ما يُحْفَظ، في القُرْبِ منهم: إيضاحٌ لفهوم مسطور فُحُولِ العُلَمَاء.

في دُروسِهم: خَيراتٌ مُتَنَاثِرَة، وثَمَرَاتٌ يَانِعَة؛ فَكُنْ أَقربَ النَّاس إليهم وإلى دُروسِهم؛ لتَرْتَشِفَ من مَعِين عُلومِهم وأَخلاقِهم.



(١) أي: خالص. لسان العرب (١/ ٧٢٩).

قِرَاءَةُ الكُتُبِ

لا غِنَى للمُسلمِ عن القراءةِ مع حُضُور دُرُوسِ العُلَمَاء، والسُّؤال عمَّا أَشْكَلَ عليه.

والكُتُبُ كثيرةٌ في مُختَلَف الفُنُون، والمَرءُ يَحرِص على قراءةِ مُهمَّات الكتب المَلِيئَة بالفوائد.

وكُتبُ السَّلَف تَمتازُ باتِّبَاع الكتاب والسُّنَّة، وسلامةِ الألفاظ، وكثرةِ المعاني، وقد تَجدُ في الكتب ما لا تَجِده في الدُّروس.

وفي القراءة زيادةُ المدارك، وسَعَةُ الأفهام، ورُقِيُّ العقول، واكتسابٌ لأخلاق الأسلاف، وانتقالٌ بالرُّوح إلى حياةٍ سعيدةٍ.

ومَنْ نظر في كُتبِ العُلَمَاء الرَّبَّانيِّين؛ عَرَف قَدْرَهم، ونُصْحَهم للأُمَّة، وأَنْزلَهم مَنزلَتَهم، وأَجلَّهم وأَحبَّهم، ومِنْ عاقبة ذلك: أن يُحشَر معهم في جنَّات النَّعيم.



مَاذَا أَقْرَأُ مِنَ الكُتُبِ؟

هذه كُتُبٌ مُقترحةٌ للقراءة بمستوياتها، مَنْ قرأها حَصَّل - بإذن اللَّه - عِلماً غزيراً، وهي:

*** المستوى الأوَّل:**

١ - التِّبيان في آداب حَمَلَة القرآن؛ للنَّوويِّ.

٢ - الوَابِل الصَّيِّب من الكَلِم الطَّيِّب؛ لابن القيِّم.

*** المستوى الثَّاني:**

١ - الكبائر؛ للذَّهبيِّ.

٢ - الفُصُول في اختصار سيرة الرَّسول ﷺ؛ لابن كثيرٍ.

*** المستوى الثَّالث:**

١ - الجواب الكافي؛ لابن القيِّم.

٢ - العُبوديَّة؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

*** المستوى الرابع:**

١ - حادي الأرواح؛ لابن القيِّم.

٢ - صَيْد الخاطر؛ لابن الجَوْزيِّ.

* المستوى الخامس:

١ - تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير.

٢ - زاد المعاد؛ لابن القيِّم.

١ - الصِّحَاح؛ للجَوْهَرِيِّ.

٢ - تهذيب اللُّغَة؛ لمُحمَّد الأزهريِّ.

* المستوى السَّادس:

١ - فتاوى الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢ - فتاوى الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣ - فتاوى اللَّجنة الدَّائمَة.

* المستوى السَّابع:

١ - مؤلَّفات شيخ الإسلام ابن تَيميَّة.

٢ - مؤلَّفات ابن القيِّم.

٣ - الدُّرَر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة، لابن قاسم.



عَدَمُ اسْتِعْجَالِ قَطْفِ الثَّمَرَةِ

لَا تَأْخُذ العِلمَ جُمْلَة؛ فإنَّ مَنْ رَامَ أَخْذَه جُمْلَةً ذَهَبَ عنه جُمْلَةً، ولكنِ الشَّيءُ بعد الشَّيءِ مع الأيَّام واللَّيالي، ودَاوِ بدواء الإخلاص عَلِيلَ العَمَلِ القليلِ.

فإذا شَرَعْتَ في طَلَب العِلْم؛ فلا تَقْرَأ كُتُبَ المُطوَّلَات والخِلافيَّات - وأَنتَ في أوَّل الطَّلبِ -، وإذا بَدَأْتَ في حفظ المُتُون؛ فلا تَحْفَظْ مَتْناً يَحْفَظُه السَّابقون في أَشْهرٍ تَحْفَظُه أَنتَ في أيَّام.

وكانت طريقة الشَّيخ مُحمَّدِ بنِ إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)] مع طلَّابه: يحفظون ثلاثة أبيات من «أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ»[(٢)] كلَّ يوم فقط، وثلاثة أحاديث من «بُلُوغِ المَرَامِ»[(٣)]، وثلاثة أسطر من «زَادِ المُسْتَقْنِعِ»[(٤)]، فينتهون من الزَّاد كلَّ ثلاث سنواتٍ مرَّةً، وبهذه الطَّريقةِ المُتَأَنِّيةِ المُتْقَنَةِ خَرجَ العُلَمَاء الرَّاسِخُون.

---

(١) هو: مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ، وُلد سنة (١٣١١هـ)، وتوفي سنة (١٣٨٩هـ). الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٤٧٤).

(٢) الألفية في النَّحو؛ لجمال الدِّين أبي عبد اللَّه مُحمَّد بن عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن مالك الطَّائيّ الجيانيّ. طبقات الشافعيين (ص٩٠٨).

(٣) بلوغ المرام من أدلَّة الأحكام؛ لأبي الفَضْل شِهَاب الدِّين ابن حَجرٍ العَسْقَلاني. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (٢/ ٦٦١).

(٤) زاد المُسْتَقْنِع في اختصار المُقْنِع؛ لأبي النَّجا موسى بن أحمد بن موسى الحَجَّاوي المَقْدِسي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٤٧٢).

والعُلَمَاء يَمْكُثُون في بعض مُصنَّفاتهم عدَدَ سنين؛ يقولُ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عن تصنيفه لكتاب الأخلاق والسير: «أَنْفَقْتُ فِي ذَلِكَ أَكْثَرَ عُمُرِي»[(١)]، وهو ثمانون صفحة فقط، وابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)] مكث في تصنيف «فَتْحِ البَارِي شَرْحِ صَحِيحِ البُخَارِيِّ» خمسة وعشرين عاماً.

والدَّاعيةُ لا يَتَطلَّع إلى ثمرة دعوتِه بكثرة المُسْتَجيبين؛ بل عَمَلُه مَقْصُورٌ على البيان والدَّعوة، وليست له الهِدايةُ وتحويلُ القلوب؛ يقول اللَّه تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩].

فأَنْتَ بَلِّغْ وربُّك المُسَدِّد ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، كم سعى النَّبيُّ ﷺ إلى إسلام عَمِّه أبي طالبٍ، فلم يحصل له ما أَرَاد ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

ومن الأنبياء مَنِ اجتهدَ في دعوةِ قَوْمِه سِنينَ عدداً فلم يستجيبوا له؛ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ؛ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيَّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ مَعَهُ الرَّهْطُ[(٣)]، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**» رواه البُخاريُّ[(٤)].

فاعْمَلْ صَالِحاً بإخلاصٍ ولا تَتَطلَّع إلى ثَمرةِ العَمَل.

❖ ❖ ❖

---

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص١١).

(٢) هو: أبو الفَضل أحمد بن عليّ بن مُحمَّد الكِنَانيّ العَسْقَلَانيّ ثمَّ المصريّ الشَّافعيّ، ولد سنة (٧٧٣هـ)، وتوفي سنة (٨٥٢هـ). طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥٥٢).

(٣) الرَّهْط: ما دُونَ العَشَرَة من الرِّجَال. الصحاح (٣/ ١١٢٨).

(٤) كتاب الطِّبِّ، باب مَن اكْتَوى أو كَوَى غيره، وفضل مَنْ لم يَكْتَو، رقم (٥٧٠٥)، من حديث ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

احْتِرَامُ العُلَمَاءِ

العُلَمَاء هم سِرَاجُ العِبَاد، ومَنَارُ البلاد، وقِوَامُ الأمَّة، يقولُ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ رضي الله عنه[(١)]: «مَثَلُ العَالِمِ: كَمَثَلِ رَجُلٍ حَمَلَ سِرَاجاً فِي طَرِيقٍ مُظْلِمٍ؛ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ مَرَّ بِهِ»[(٢)].

ومِنْ تعظيمِ الشَّرِيعَة والدِّين تَعظيمُ العُلَمَاء؛ فهم خَلَفُ أنبياء اللَّه في دعوتهم؛ قَالَ عليه الصلاة والسلام: «**العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**» رواه أحمد[(٣)].

وقد سار الأسلاف على تَبْجِيلِ العُلَمَاء وتَوْقِيرِهِم؛ يقولُ الرَّبيعُ بنُ سُلَيْمَانَ رحمه الله[(٤)]: «مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ المَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ؛ هَيْبَةً لَهُ»[(٥)].

سؤالُهم عِلْمٌ، ومُجالستُهم سعادةٌ، ومُخالَطتُهم تقويمٌ للسُّلوكِ، وملازمتُهم حِفْظٌ للشَّباب - بإذن اللَّه - من الزَّلَلِ، يقولُ أبُو

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه سلمان الفارسيّ، يقَالُ: إنَّه مولى رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، ويُعرف بسلمان الخير، توفي في آخر خلافة عثمان سنة (٣٥هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٣٤).

(٢) رواه الدارمي في المسند، باب البلاغ عن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، وتعليم السُّنن، (١/ ٤٦١)، رقم (٥٧٦).

(٣) في المسند، رقم (٢١٧١٥)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) هو: أبو مُحمَّد الرَّبيع بن سليمان بن عبد الجبَّار المُرَاديّ مولاهم، المصريّ، ولد سنة (١٧٣هـ) أو (١٧٤هـ)، وتوفي سنة (٢٠٧هـ). طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (١/ ٦٥).

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١٤٥).

الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ: مَمْشَاهُ وَمَدْخَلُهُ وَمَخْرَجُهُ مَعَ أَهْلِ العِلْمِ»[١].

ثَمرةُ مُجَالَسَةِ العُلَمَاء ليست في التَّزوُّد من العلوم والمعارف فحَسْب؛ بل بالِاقتداء بهم في الهَدْيِ والسَّمْتِ وعلوِّ الهِمَّة ونَفْعِ الآخرين، يقولُ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ رحمه الله[٢]: «وَجَدْتُ صَلَاحَ قَلْبِي فِي مُجَالَسَةِ العُلَمَاءِ»[٣].

وبُعْدُ ناشئةِ المسلمين عن العُلَمَاء يُفضِي إلى تَخَبُّطٍ في طلب العِلْم، وإعجابٍ بالرَّأي، وهو سَببٌ للفُرْقَة وقلَّةِ التَّعبُّد؛ يقولُ الشَّعْبِيُّ رحمه الله[٤]: «جَالِسُوا العُلَمَاءَ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ أَحْسَنْتُمْ حَمِدُوكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ تَأَوَّلُوا لَكُمْ وَعَذَرُوكُمْ، وَإِنْ أَخْطَأْتُمْ لَمْ يُعَنِّفُوكُمْ، وَإِنْ جَهِلْتُمْ عَلَّمُوكُمْ، وَإِنْ شَهِدُوا لَكُمْ نَفَعُوكُمْ»[٥].

فَجَالِسِ العُلَمَاء بأَدَبٍ، وتَواضَعْ في نَفْسِكَ، وتَلطَّفْ معهم في السُّؤال، وليكن حَدِيثُك معهم بأَحْسنِ المَقَال.

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى، باب التَّحذير من صُحْبَة قوم يُمْرِضُون القلوب ويُفْسِدُون الإيمان، (٢/ ٤٣٧)، رقم (٣٦٨).

(٢) هو: أبو أيُّوب ميمون بن مهران الجزريّ، ولد سنة (٤٠هـ)، وتوفي سنة (١١٧هـ). سير أعلام النبلاء (٥/ ٧١).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٨٥).

(٤) هو: أبو عَمْرو عَامر بن شراحيل الشَّعبيّ الكوفيّ، ولد لستِّ سنين مضت من خلافة عُمَر رضي الله عنه، وتوفي سنة (١٠٣هـ). طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٤٠).

(٥) جامع بيان العِلم وفضله (١/ ٥١٩)، رقم (٨٤٧).

وإذا جالَسْتَهم؛ فكُنْ عَلَى أنْ تَسمَعَ أَحرَصَ منك على أنْ تَقُولَ، وَلِيَكُنْ سؤالُكَ تَفقُّهاً؛ لا تَعَنُّتاً.

قَالَ لُقْمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَا بُنَيَّ، جَالِسِ العُلَمَاءَ وَزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي القُلُوبَ بِنُورِ الحِكْمَةِ، كَمَا يُحْيِي الأَرْضَ بِوَابِلِ المَطَرِ»[1].

وعليك بتَبْجِيلِ العُلَمَاءِ وأَهلِ الفضلِ والإيمان، وإذا تَعلَّمَ الإنسانُ وحَصَّل قَدْراً من العِلْم؛ فلْيعْلَمْ أَنَّه قليلٌ بجانب ما جَهِلَ، فلا يدخله العُجْب، والعِلْمُ لا يُنال إلَّا بالتَّواضُع وإلقاء السَّمْع، فاحتَرِمْ مُعلِّمَك وجِلَّ قدْرَهُ بالتَّأدُّب معه في الحديث والِاستماع والهيئة، فسُوءُ الأدب معه مُرُوقٌ من صفات المُرُوءَات والأعراف، وزَيْغٌ عن سَيْرِ الأسلاف، يقولُ الرَّبيع رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ المَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ؛ هَيْبَةً لَهُ».

واشْكُرْ مُعلِّمَك على إرشادِه وإخلاصِه لحَالِكَ؛ فإنَّه لا يَشْكرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكرُ النَّاس.

ومِنْ حقوق المُتعلِّم على مُعَلِّمِه: الِاعتِذَارُ لَهُ، ونَسْبُ العَتَبِ للنَّفْس، والإحسانُ إليه في الخِطَاب، والتَّلَطُّفُ في السُّؤال والجواب.

واحذر المُباهَاة والمُمَارَاة، وأَصْغِ إلى حديث مُعلِّمِك، ولا تَنْثَنِ عن الِاستفهام فيما أَشْكَلَ عليك من علوم الشَّريعة؛ فالسُّؤال عن الدِّين شَرَفٌ، والإعراضُ عن السُّؤال والبقاءُ على الجهل مهانةٌ؛ تقولُ

(١) رواه مالك في الموطأ، باب ما جاء في طلب العِلْم، (٥/١٤٥٨)، رقم (٣٦٧٠).

عَائِشَةُ رضي الله عنها: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ» متفق عليه[١].



(١) رواه البخاري، كتاب العِلم، باب الحياء في العِلم، رقم (١٣٠)، ومسلم، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فِرْصة من مسك في موضع الدم، رقم (٣٣٢).

احْتِرَامُ الأَقْرَانِ

الخِصالُ الصَّالحةُ من البِرِّ لا تَحْيا إلَّا بالموافقين في الطِّباع، ومِنْ أخَصِّ الصِّفات في الصَّاحب: أن يكون ذا سَدادٍ في الرَّأي، وصدقٍ في المَودَّة، وأمانةٍ في السِّرِّ، ووفاءٍ بالإخاء، ولا تَلزَمْ سوى الصَّالِحِين؛ فنِعْمَ العَوْنُ هم على أُمُورِ الدُّنيا والدِّين.

ومِنْ سِمَات المُسلِم: أنْ لا يَحسُدَ أحداً من أَقْرَانِه على ما مَنَحَه اللَّه من نِعَمٍ - من حِفْظٍ، أو فهمٍ، أو إدراكٍ، أو بدوِّ علامات نفعه للمُسْلِمِين -، ويَحْفَظُه في غَيْبَته؛ فلا يُؤْذِيه، ولا يَهْتِك عِرضَه بالنَّمِيمَة والبُهتان.

وقد كان السَّلَف يُعظِّمُ أَحدُهُم قرينَه ويُبجِّلُه، مع سلامةِ قلبِه له، والثَّناءِ عليه في غَيْبَتِهِ، ولقد كان ابنُ كثيرٍ وابنُ القَيِّمِ رحمهما الله أقراناً، وهما من تَلامِذَة شيخ الإسلام ابنِ تَيْمِيَّة رحمه الله، وانظر إلى تَعظيمِ ابنِ كثيرٍ لقرينه ابنِ القَيِّم - وهو يُتَرْجِم له -؛ يقول عنه: «كَانَ حَسَنَ القِرَاءَةِ وَالخُلُقِ، وَكَثِيرَ التَّوَدُّدِ، لَا يَحْسُدُ أَحداً وَلَا يُؤْذِيهِ، وَلَا يَسْتَعِيبُهُ، وَلَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ، وَكُنْتُ مِنْ أَصْحَبِ النَّاسِ لَهُ، وَأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ»[1].

فبسلامة الصَّدر والمَحبَّة في اللَّه نفع أمثالُ هؤلاء المسلمين؛ فصَاحِبِ المُجدِّينَ المُتَيَقِّظِينَ للزَّمان، وَجانِبِ المُجالَسَة الخاوية، واقرأ

(١) البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣).

سِيَرَ الأفذاذ، واستَزِدْ من المعرفة بعلوم الشَّريعَة، واغتَنِمْ حياتَك النَّفيسَة واحتفِظْ بأوقاتك العزيزة، وحُثَّ رفقاءَك على تَحصيلِ العِلْم، وانصَحْ لهم في الدِّين، ولا تَحْسُدْ ذا نِعمةٍ على نعمتِه بالحفظ والفهم، وسَلِ المُنعِمَ التَّوفيقَ دوماً؛ فالعَوْنُ من الوهَّاب لا بالرُّكون إلى الأسباب.



عَثَرَاتُ طَلَبِ العِلْمِ

العوائقُ والآفاتُ عثراتٌ أمام مواصلة سَيْرِ الطَّلب، فالحفظ والمُدَارَسة لا تُحمَدَان بحضرة الشَّواغِل والصَّوَارف.

وفي المُلهِيَات الحضاريَّة المَحذُورة، والمَحطَّات الفَضائيَّة إشغالٌ للأَفكار، وعيشٌ في الأوهام، وهَدْرٌ للأوقات، وفي مجانبتها صيانةٌ للدِّين وصفاءُ الأذهان، وحِفظُ الأزمان ومُسابقةُ الأقران، فنزِّهْ سَمْعَكَ وبصَرَك عمَّا يُلوِّثُ فِكْرَك، ويُسِيءُ إلى سُلُوكِكَ، ويُفسدُ أخلاقيَّاتِك.

وآفةُ العِلْمِ: الإعجابُ، وحِليَتُه: الحِلْمُ والتَّواضع، والسَّعيدُ مَنْ عَرَفَ الطَّريقَ إلى ربِّه وسَلَكَه قاصداً الوصولَ إليه، والمَحرُومُ مَنْ عَرَفَ الطَّريق، ثمَّ أَعْرَضَ عنه.



هَلْ فِي طَلَبِ العِلْمِ مَشَقَّةٌ؟

طَلَبُ العِلْم شاقٌّ؛ ولكن له لذَّةٌ ومُتعَةٌ، والعِلْمُ لا يُنَالُ إلَّا على جِسْرٍ من التَّعَبِ والمَشقَّة، ومَنْ لم يتحمَّل ذُلَّ التَّعَلُّمِ ساعةً؛ يَتجرَّع كأس الجَهْل أبداً.

والعِلْمُ والعَمَلُ لا مَنَاصَ من الصَّبْر عليهما، والصَّابر مَوعودٌ بالجِنان ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

ولا يُنَالُ العِلمُ إلَّا بالصَّبر على المكاره، وبَذْلِ النُّفوس في طلبه، والتَّفَاني فيه؛ قَالَ ابنُ الجوزيِّ ﵀: «وَلَقَدْ كُنْتُ فِي حَلَاوَةِ طَلَبِ العِلْم أَلْقَى مِنَ الشَّدَائِدِ مَا هُوَ عِنْدِي أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، لِأَجلِ مَا أَطْلُبُ وَأَرْجُو، كُنْتُ فِي زَمَانِ الصِّبَا آخُذُ مَعِي أَرْغِفَةً يَابِسَةً فَأَخْرُجُ فِي طَلَبِ الحَدِيثِ، وَأَقْعُدُ عَلَى نَهْرِ عِيسَى[1] فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَكْلِهَا إلَّا عِنْدَ المَاءِ؛ فَكُلَّمَا أَكَلْتُ اللُّقْمَةَ شَرِبْتُ عَلَيْهَا، وَعَيْنُ هِمَّتِي لَا تَرَى إلَّا لَذَّةَ تَحْصِيلِ العِلْمِ»[2].

وقالَ ابنُ كثيرٍ ﵀ عن نَفْسِه - وهو يُؤَلِّف كتابَه: «جامع المسانيد» -: «لَا زِلْتُ أَكْتُبُ فِيهِ فِي اللَّيْلِ وَالسِّرَاجُ يُنَوْنِصُ[3]؛ حَتَّى

(١) كَورة، وقرى كثيرة، وعمل واسع في غربي بغداد يعرف بهذا الاسم، ومأخذه من الفرات. معجم البلدان (٥/ ٣٢٢).

(٢) صيد الخاطر (ص٢٤٨).

(٣) أي: يَرْتَفِعُ ضَوْؤُه ويَنْخَفِض. تاج العروس (١٨/ ١٩٧).

ذَهَبَ بَصَرِي مَعَهُ»[١].

ويقولُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[٢]: «أَوَّلُ سَنَةٍ خَرَجْتُ فِي طَلَبِ الحَدِيثِ أَقَمْتُ سَبْعَ سِنِينَ، أَحْصَيْتُ مَا مَشَيْتُ عَلَى قَدَمِي زِيَادَةً عَلَى أَلْفِ فَرْسَخٍ[٣]، ثُمَّ تَرَكْتُ العَدَدَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَخَرَجْتُ مِنَ البَحْرَيْنِ[٤] إِلَى مِصْرَ مَاشِياً، ثَمَّ إِلَى الرَّمْلَةِ[٥] مَاشِياً، ثُمَّ إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ[٦]، ثُمَّ إِلَى طَرْسُوسَ[٧]، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى حِمْصَ[٨]، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الرَّقَّةِ[٩]، ثُمَّ رَكِبْتُ إِلَى العِرَاقِ، كُلُّ هَذَا وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً»[١٠].

وبالنَّظَرِ إلى عواقب الأمر؛ يهون الصَّبر على كلِّ ما تَشْتَهِي وتكرَهُ.

ومَنْ أَنْفَقَ عصر الشَّبَابِ في العِلْم؛ فإنَّه في زمن الشَّيخُوخَةِ يَحمد مَا جَنَى مِنْ غَرْسٍ، ويَلْتَذُّ بتصنيف ما جمَعَ، ولا يَرَى ما يَفقِدُ مِن لذَّات

(١) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد (١/ ٢٠).

(٢) هو: أبو حاتم مُحمَّد بن إدريس بن المُنذِر الرَّازيّ، ولد سنة (١٩٥هـ)، وتوفي سنة (٢٧٧هـ). سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٧).

(٣) الفَرْسَخ: (٨,٣) كيلومتر تقريباً؛ أي: أنَّه قَطَعَ (٨,٣٠٠) كيلومتر على قَدَمَيْه في تلك الرِّحْلَة في طلب العِلم، ثمَّ بعد ذلك تَوقَّف عن حِسَابِ ما قَطَعَه من المَسَافَات.

(٤) البَحْرَيْن: مدينة شرق السُّعوديَّة تُسمَّى اليوم: الأحساء، وليست دَوْلَة البَحْرَيْن المعروفة.

(٥) الرَّمْلَة: مدينة شمال غرب القُدس، تبعد عنه حوالي (٣٨) كم.

(٦) أَنْطَاكِيَة: مدينة جنوب تُرْكِيَا تقع على الضِّفَّة اليُسْرَى لنهر العاصي على بعد (٣٠) كم من شاطئ البحر المُتوسِّط.

(٧) طَرْسُوس: مدينة جنوب تُرْكِيَا تقع على ساحل البحر الأبيض المُتوسِّط.

(٨) حِمْص: مدينة شمال دِمَشْق، تبعد عنها حوالي (١٦٢) كم.

(٩) الرَّقَّة: مدينة شرق حلب، تبعد عنها حوالي (١٦٠) كم.

(١٠) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٠٨).

البَدَن شيئاً بالإضافة إلى ما يَنالُه من لذَّات العِلْم؛ قيل للإمام أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَتَى الرَّاحَةُ؟ قَالَ: عِنْدَ وَضْعِ أَوَّلِ قَدَمٍ فِي الجَنَّةِ»[1]، واللَّهُ مَعَكَ على قَدْرِ صِدْقِ الطَّلب، وقوَّةِ اللُّجُوء، وخَلْعِ الحَوْلِ والقوَّةِ.



(١) طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٣).

الغُرْبَةُ فِي طَلَبِ العِلْمِ

البُعدُ عن الأهل والأوطان يُظهِرُ مَنَاصِعَ الرِّجال وكَرِيمَ الخِلَال، وفي الغُربَة دُرْبَةٌ على مَشقَّة الحياة وضِيقِ الِابتلاء، وهو مَدرَسةٌ للشُّمُوخِ في العِلْم، ودَرسٌ في أنَّ الحياةَ قد لا يَدُومُ فيها الرَّخاء والتَّرَف، وفي الغُربَة انطلاقةٌ لطالب العِلْم في عدم الِاعتماد على الأهل، وأنَّ الحياةَ لا تَدُومُ على حالٍ، وفي ذلك يقول الإمامُ الشَّافعيُّ في دِيوَانِهِ[(١)]:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِي طَلَبِ العُلَا ... وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

تَفَرُّجُ هَمٍّ وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ ... وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةُ مَاجِدِ

وقال أيضاً[(٢)]:

مَا فِي المُقَامِ لِذِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبِ ... مِنْ رَاحَةٍ فَدَعِ الأَوْطَانَ وَاغْتَرِبِ

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضاً عَمَّنْ تُفَارِقُهُ ... وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ العَيْشِ فِي النَّصَبِ

إِنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ المَاءِ يُفْسِدُهُ ... إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ

وَالأُسْدُ لَوْلَا فِرَاقُ الأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ ... وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ القَوْسِ لَمْ يُصِبِ

وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الفُلْكِ دَائِمَةً ... لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ

وَالبَدْرُ لَوْلَا أُفُولٌ مِنْهُ مَا نَظَرَتْ ... إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ عَيْنُ مُرْتَقِبِ

وَالتِّبْرُ كَالتُّرْبِ مُلْقىً فِي أَمَاكِنِهِ ... وَالعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الحَطَبِ

فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ ... وَإِنْ تَغَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كَالذَّهَبِ

---

(١) (ص٦).

(٢) في ديوانه (ص٣).

وإذا صَدَقَ الغَريبُ مع اللَّه؛ شَرَح اللَّهُ صدرَه في غُربَتِه، فالنَّبِيُّ ﷺ كان مَدْخَلُه إلى المدينةِ مَدْخَلَ صِدْقٍ باللَّهِ، ولِلَّهِ، وابتغاءَ مرضاة اللَّهِ، فاتَّصَل به التَّأْيِيدُ والظَّفَرُ، وأَدْركَ خَيْرَيِ الدُّنيا والآخرة؛ بخلاف مَدْخَلِ الكَذِبِ الذي رَامَ أَعداؤُه أنْ يدخلوا به المدينةَ يومَ الأحزاب؛ فإنَّه لم يكن باللَّهِ، ولا للَّهِ، بل كان محادَّةً للَّهِ ورسولِه؛ فلم يتَّصِل به إلَّا الخِذْلَانُ والخَسار، وما خرج أحدٌ من بيتِه إلى بلدٍ آخر إلَّا أن يكونَ بصِدْقٍ أو كَذِبٍ؛ فمَخْرَجُ كلِّ واحدٍ ومَدْخَلُهُ لا يَعْدُو الصِّدقَ أو الكَذِبَ.

واللَّهُ ﷻ إذا أراد رِفْعَةَ عبدٍ كَسَرَهُ أوَّلاً، فإذا لجأ إلى اللَّهِ، وطَلَبَ ما عنده، وتَقرَّبَ إليه بالطَّاعات؛ رَفَعَهُ اللَّهُ بعد ذلك بقَدْرِ انكسَارِه للَّهِ تعالى.



مَشَقَّةُ الغُرْبَةِ

فِرَاقُ الوَطَنِ عزيزٌ على النَّفْس، ثَقيلٌ على الطِّباع، ولمَّا أُخرِجَ النَّبِيُّ ﷺ من مكَّةَ نَظَرَ إليها، وقَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ» رواه أحمد[1].

وقد لَاقَى فُحُولُ العلماء في الغُربَة ما لَاقُوا، ولم يُثنِهم ذلك عن مُوَاصلة طلب العِلْم؛ فالإمامُ أَحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا خرج إلى عبد الرَّزَّاقِ الصَّنعانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2] في اليمن، انقطعت به النَّفقةُ، فأَكْرَى نَفْسَهُ - أي: آجَرَهَا - على جَلَالَة قَدْرِه وعِلْمِه من بعض الحَمَّالِين إلى أنْ وَافَى صَنْعَاء، وقد كان أَصحابُه عَرَضُوا عليه المُوَاسَاةَ فلم يَقْبَل من أَحدٍ شيئاً[3].

ورَهَنَ نَعْلَهُ عند خبَّازٍ على طعامٍ أَخذَه منه عند خُرُوجِه من اليمن[4]، وقال الحافظ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وهو يَتحدَّثُ عن الشَّدائد التي لَقِيَهَا الإمامُ أَحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ خِلالَ رِحلتِه إلى اليمن وإقامتِه فيها لتحصيل

---

(١) في المسند، رقم (١٨٧١٥)، من حديث عبد اللَّه بن عدي بن الحمراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هو: أبو بكر عبد الرَّزَّاق بن همام بن نافع الصَّنعانيّ، مولى حِمْيَر، ولد سنة (١٢٦هـ)، وتوفي سنة (٢١١هـ). وفيات الأعيان (٣/ ٢١٦).

(٣) مناقب الإمام أحمد (ص٣٠٩).

(٤) مناقب الإمام أحمد (ص٣١٠).

العِلْم والحديث -: «وَسُرِقَتْ ثِيَابُهُ وَهُوَ بِاليَمَنِ، فَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ البَابَ، وَفَقَدَهُ أَصْحَابُهُ، فَجَاؤُوا إِلَيْهِ فَسَأَلُوهُ، فَأَخْبَرَهُمْ فَعَرَضُوا عَلَيْهِ ذَهَباً فَلَمْ يَقْبَلْهُ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُمْ إِلَّا دِيناراً وَاحِداً لِيَكْتُبَ لَهُمْ بِهِ - أَيْ: أَخَذَ الدِّينَارَ عَلَى أَنْ يَكُونَ أُجْرَةً لِمَا يَنْسَخُهُ لَهُمْ مِنَ الكُتُبِ -، فَكَتَبَ لَهُمْ بِالأَجْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ»[١].

والإمامُ البُخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الغُربَة لا يَجِدُ ما يَسْتُرُ به عورتَه، وحكى الخَطيبُ البَغْدَادِيُّ[٢] في تَرْجَمَة الإمام البُخَارِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ: «قَالَ عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ الأَشْقَرُ[٣]: إِنَّهُمْ فَقَدُوا البُخَارِيَّ أَيَّاماً مِنْ كِتَابَةِ الحَدِيثِ بِالبَصْرَةِ، قَالَ: فَطَلَبْنَاهُ فَوَجَدْنَاهُ فِي بَيْتٍ وَهُوَ عُرْيَانٌ، وَقَدْ نَفِدَ مَا عِنْدَهُ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ شَيْءٌ، فَاجْتَمَعْنَا وَجَمَعْنَا لَهُ الدَّرَاهِمَ حَتَّى اشْتَرَيْنَا لَهُ ثَوْباً وَكَسَوْنَاهُ، ثُمَّ انْدَفَعَ مَعَنَا فِي كِتَابَةِ الحَدِيثِ»[٤].

بل كان يَأْكُلُ من الأرض، وما عنده ما يَشْتَرِي به طعاماً؛ يقولُ الإمامُ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ: «خَرَجْتُ إِلَى آدَمَ ابْنِ أَبِي إِيَاسٍ[٥] فِي عَسْقَلَانَ، فَتَخَلَّفَتْ عَنِّي نَفَقَتِي حَتَّى جَعَلْتُ أَتَنَاوَلُ حَشِيشَ الأَرْضِ وَلَا

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٣٨٩).

(٢) هو: أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخَطِيب البغداديّ، ولد سنة (٣٩٢هـ)، وتوفي سنة (٤٦٣هـ). طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٩).

(٣) هو: عُمَر بن حفص بن عُمَر الأَشْقر القُرشيّ البُخاريّ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٢٦٦هـ). لسان الميزان (٦/ ٩٢)، تاريخ الإسلام (٦/ ٣٧٥).

(٤) تاريخ بغداد (٢/ ٣٣٢).

(٥) آدم بن أبي إياس: عبد الرَّحْمن العَسقلانيّ، أصله خراسانيّ، يكنى أبا الحسن، نشأ ببغداد، ثقة عابد، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٢٢١هـ). تقريب التهذيب (ص٨٦).

أُخْبِرُ بِذَلِكَ أَحداً، فَلَمَّا كَانَ اليَوْمُ الثَّالِثُ أَتَانِي آتٍ لَمْ أَعْرِفْهُ، فَنَاوَلَنِي صُرَّةَ دَنَانِيرَ، وَقَالَ: أَنْفِقْ عَلَى نَفْسِكَ»[١].

وأبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ يَحْكِي لنا ما قَاسَاه في طَلَبِ العِلْم من الشِّدَّة؛ يقولُ: «فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ - أَيْ: وَمِئَتَيْنِ - بَقِيتُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ بِالبَصْرَةِ، وَكَانَ فِي نَفْسِي أُقِيمُ سَنَةً، فَانْقَطَعَتْ نَفَقَتِي؛ فَجَعَلْتُ أَبِيعُ ثِيَابِي حَتَّى نَفِدَتْ وَبَقِيتُ بِلَا نَفَقَةٍ.

وَمَضِيتُ أَطُوفُ مَعَ صَدِيقٍ لِي إِلَى المَشْيَخَةِ وَأَسْمَعُ إِلَى المَسَاءِ، فَانْصَرَفَ رَفِيقِي وَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَجَعَلْتُ أَشْرَبُ المَاءَ مِنَ الجُوعِ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَغَدَا عَلَيَّ رَفِيقِي فَجَعَلْتُ أَطُوفُ مَعَهُ فِي سَمَاعِ الحَدِيثِ عَلَى جُوعٍ شَدِيدٍ، وَانْصَرَفْتُ جَائِعاً.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ؛ غَدَا عَلَيَّ فَقَالَ: مُرَّ بِنَا إِلَى المَشَايِخِ، قُلْتُ: أَنَا ضَعِيفٌ لَا يُمْكِنُنِي، قَالَ: مَا ضَعْفُكَ؟ قُلْتُ: لَا أَكْتُمُكَ أَمْرِي؛ قَدْ مَضَى يَوْمَانِ مَا طَعِمْتُ فِيهِمَا شَيْئاً، فَقَالَ: قَدْ بَقِيَ مَعِي دِينَارٌ، فَنِصْفُهُ لَكَ، وَنَجْعَلُ النِّصْفَ الآخَرَ فِي الكِرَاءِ، فَخَرَجْنَا مِنَ البَصْرَةِ وَقَبَضْتُ مِنْهُ النِّصْفَ دِينَارٍ»[٢].

فلا تَحْزَنْ في الغُرْبَة ولا تضْجَرْ من كُرُبَاتِها، فقد لَاقَى العُلَمَاءُ منها المَشقَّةَ والضَّنْكَ، فلم يزِدْهُم ذلك إِلَّا صُمُوداً في طلب العِلْم، حتَّى حُفِظَ هذا الدِّينُ على أَعناقِ أولئك العِظَامِ، فَسِرْ على ما سَارَ عليه

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤٨)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٢٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٥٦).

العُلَمَاء؛ فأَنتَ في الغُرْبَة تَخْطُو خُطواتِهِم، وكُنْ مُتعلِّقاً باللَّهِ ﷻ في غُرْبتِك، واحْفَظْهُ بالطَّاعة ليَحْفَظَكَ ربُّك ويَحفَظَ أهلَكَ في دِيَارِهم وتَأَنَسَ في التَّغَرُّب.



العَمَلُ بِالعِلْمِ

ليس العِلْمُ أنْ تعرفَ المَجهولَ؛ ولكن أَنْ تستفيدَ من معرفته، والعِلْمُ النَّافعُ حقّاً هو الَّذي يُرَى أَثرُه على صَاحبِه؛ نُورٌ في الوجه، وخَشيةٌ في القلب واستقامةٌ في السُّلوك، وصِدقٌ مع اللَّه، وصِدقٌ مع النَّفْسِ والنَّاس.

واللَّهُ ﷻ جعل العَمَلَ الصَّالحَ مع الإيمان قيداً في دخول الجَنَّة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١]؛ فذَكَرَ العَمَلَ الصَّالحَ مع الإيمان.

وذمَّ اللَّهُ ﷻ بني إسرائيل على عدم انتفاعهم بالعِلْم، فقال سبحانه عنهم: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: ١٧]، وذمَّ النَّصارَى ووصَفَهُم بالضَّلالةِ؛ لجَهْلِهم وعبادتِهم ربَّهم بغير عِلمٍ.

والعَامِلُ بعِلْمِه يَخْرُجُ من بين الطَّائِفَتَيْن المَذْمومَتَيْن - اليهود والنَّصارى -، والعَملُ بالعِلْم ليس في جانب العبادات المَحْضَة فحَسْب؛ بل حتَّى في المعاملات مع الخَلْقِ، فصِدْقُ الحديثِ، والوفاءُ بالوعد، والإحسانُ إلى الجار، وصِلَةُ الرَّحِمِ، والعفوُ عن الآخرين؛ كلُّ ذلك عملٌ بالعِلْمِ.

يقولُ ابنُ القَيِّم عن شَيْخ الإسلام ابنِ تَيْمِيَّةَ رحمهما الله: «وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الأَكَابِرِ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنِّي لِأَصْحَابِي مِثْلُهُ لِأَعْدَائِهِ وَخُصُومِهِ[١]، وَمَا رَأَيْتُهُ يَدْعُو عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَطُّ، وَكَانَ يَدْعُو لَهُمْ، وَجِئْتُ يَوْماً مُبَشِّراً لَهُ بِمَوْتِ أَكْبَرِ أَعْدَائِهِ وَأَشَدِّهِمْ عَدَاوَةً وَأَذىً لَهُ، فَنَهَرَنِي وَتَنَكَّرَ لِي[٢] وَاسْتَرْجَعَ[٣]، ثُمَّ قَامَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى بَيْتِ أَهْلِهِ فَعَزَّاهُمْ وَقَالَ: إِنِّي لَكُمْ مَكَانَهُ، وَلَا يَكُونُ لَكُمْ أَمْرٌ تَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى مُسَاعَدَةٍ إِلَّا وَسَاعَدْتُكُمْ فِيهِ، وَنَحْوَ هَذَا الكَلَامِ، فَسُرُّوا بِهِ وَدَعَوْا لَهُ وَعَظَّمُوا هَذِهِ الحَالَ مِنْهُ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ»[٤].

هكذا العِلْمُ يُهذِّب النُّفوس، ويَعْلُو على الهوى، ويَغْلِب الشَّهوَات، وبهذا جاءت الشَّرِيعَة.



(١) أي: لَيْتَنِي أُعامِلُ أصحابي كما يُعامِل ابن تَيميَّةَ أعداءَه بالأخلاق الحسنة.

(٢) التَّنكُّر: التَّغَيُّر عَن حالٍ تَسُرُّكَ إِلَى حالٍ تكْرَهُها. تهذيب اللغة (١٠/ ١٠٩).

(٣) أي: قال: إنَّا للَّه وإنَّا إليه رَاجعُون.

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٢٩).

التَّوْفِيقُ بَيْنَ مَطَالِبِ الحَيَاةِ

في هذا العصر تنوَّعت المشارب، وتَشعَّبت الطُّموحات؛ مآرب مُختلفَة وصوارف مُتعدِّدة، يقِف المرء أمام تلك الصَّوارف والمَوَانع والمُتطلَّبات مُحْتَاراً؛ فلِلبَيْت رِعَايةٌ وواجباتٌ، وللزَّوجة عِنايةٌ ومَطَالبُ، وللوالدين إكرامٌ وحُقوقٌ، وللأصدقاء وُدٌّ ووفاء، وللأرحام صِلَةٌ وإحسان، وللجار تَعاهُدٌ وزيارة، وللفقراء بذْلٌ وحُنوٌّ، ولطلب الرِّزق زمنٌ لازم، ولحضور دروس العلماء شَغَفٌ وطُموح، ولحفظ المتون أُمْنِيَةٌ وأَمَل.

أمام كلِّ ذلك يَقِفُ صاحب الهِمَّة العالية مُحتاراً؛ كيف يمكنه الجمع بين منثور ذلك الخير؟

إنَّ ذلك يَتطلَّب دعاءً ببركة الوقت، وتَوفيقاً في تنظيم شؤون الحياة، وفي الشَّرِيعَة قاعدة في الجَمع بين مُتطلَّبات الدُّنْيا والدِّين؛ قال ﷺ: «**فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً**» متفق عليه[١].

فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، واغْتَنِم زمنَ عُمُرك وزهرةَ دهرك بطَرْق

(١) رواه البخاري، كتاب الصَّوم، باب حق الجسم في الصَّوم، رقم (١٩٧٥)، ومسلم، كتاب الصِّيام، باب النَّهي عن صوم الدَّهْر لمَنْ تَضرَّر به، أو فَوَّت به حقّاً، رقم (١١٥٩)، من حديث عبد اللَّه بن عَمْرو رضي الله عنهما.

كلِّ أبواب الخير، واجعل لكلِّ أولئك زمناً تتقرَّب به إلى اللَّه بإخلاص النِّيَّة، واجعل بِرَّ والديك في غير معصيةٍ هو المُقدَّم؛ فالبرَكة والخيرات في القُرْب منهم.



بَرْنَامَجٌ مُقْتَرَحٌ

عَمَلُ المُسْلِمِ اليَوْمِيُّ

المُسلمُ يَغتنمُ زَمنَ عُمُرِه؛ لأَنَّه سَيُحاسَبُ عليه، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟» رواه التِّرمذيُّ[١].

وعلى المُسلمِ أن يُخَصِّصَ وقتاً يوميّاً للعبادة؛ ومن ذلك:

١ - المُحافظةُ على الصَّلوات الخَمْس في جَمَاعة.

٢ - الإكثارُ من النَّوافل.

٣ - تلاوةُ القرآن.

٤ - قراءةُ كتب السُّنَّة.

٥ - قراءةُ كتب السَّلَف

٦ - حضورُ أو سماعُ دُروسِ العُلَمَاء.

٧ - زيارة الأقارب والجيران.



(١) أبواب صفة القيامة والرَّقائق والوَرَع عن رسول اللَّه ﷺ، باب في القيامة، رقم (٢٤١٧)، من حديث أبي بَرْزَة الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه.

بَرْنَامَجٌ يَوْمِيٌّ مُقْتَرَحٌ

أعمالُ المُسلمِ جليلة، ومع تنظيمِها يكون نَفعُها أكبر، وهذا برنامجٌ يوميٌّ مُقترحٌ لِكلِّ مُسلمٍ:

١ - تُصَلِّي الفجرَ في المسجد مع جماعة المسلمين؛ قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ؛ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ» رواه مسلم(١).

٢ - تَمكُثُ في المسجد، وبعد قراءةِ أذكار الصَّباحِ تَقرأُ القرآنَ الكريم، وإذا كُنتَ حافظاً له؛ تُراجِعُ ما حفظتَه، حتَّى تَطلُع الشَّمسُ، ثمَّ تُصلِّي ركعتي الضُّحى.

٣ - تَذهبُ إلى عَمَلِك، وبعد العودة من العَمَل تأخذ قِسْطاً من الرَّاحة.

٤ - بعد صلاة العصر تقرأ أذكار المساء.

٥ - بعد صلاة المغرب تَمكُثُ في المسجد إلى صلاة العشاء، وتَصنَعُ بعد المغرب مثل ما صَنَعْتَ بعد الفجر مِنْ قراءة القرآنِ وكتب السُّنَّة وكتب السَّلَف.

٦ - يَتخلَّلُ الأوقات السَّابقة حُضُور دروس العُلَماء، أو الاستماع لها.

---

(١) كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب فَضْل صلاة العشاء والصُّبح في جماعة، رقم (٦٥٧)، من حديث جُنْدُب بن عبد اللَّه رضي الله عنه.

٧ - بعد صلاة العشاء تَنامُ مبكِّراً، والنَّبيُّ ﷺ كان يَكْرَه النَّوم قبلَها والحديثَ بعدها، قال أبو بَرْزَةَ رضي الله عنه[١] : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا» متفق عليه[٢].

٨ - تَقرأُ أذكارَ النَّوم، ثمَّ تَنامُ على طهارةٍ على جنبك الأيمن.

٩ - قبل صلاة الفجر بساعةٍ تَستيقظُ من النَّوم، وتَفعلُ الآتي:

أ - تذكرُ اللَّه عند استيقاظك؛ لتَنْحَلَّ عنك عُقْدَةٌ من عُقَدِ الشَّيطان؛ قال عليه الصلاة والسلام : «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ؛ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ» متفق عليه[٣].

ب - إذا استيقظتَ من نومك تَقولُ: «لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ»، و«الحمد للَّه، وسبحان للَّه، ولا إله إلَّا اللَّه، واللَّه أكبر، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّه».

---

(١) هو: نضلة بن عبيد الأسلميّ، أبو بَرْزَة، مشهور بكنيته، توفي سنة (٦٤هـ). الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٤١).

(٢) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب وقت العصر، رقم (٥٤٧)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب استحباب التَّبكير بالصُّبح في أوَّل وقتها، رقم (٦٤٧).

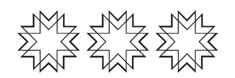
(٣) رواه البخاري، كتاب التَّهجُّد، باب عُقَد الشَّيطان على قافية الرَّأس إذا لم يُصَلِّ باللَّيل، رقم (١١٤٢)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما رُوِيَ فيمَنْ نام اللَّيل أجمع حتَّى أصبح، رقم (٧٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ﷺ: «**مَنْ تَعَارَّ**[١] **مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى؛ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**» رواه البُخاريُّ[٢].

ج - تُصلِّي ما كتب اللَّه لك من قيام اللَّيل، وتَدعُو اللَّه وتَستغفرُه إلى أذان الفجر.

أَسألُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَجْعَلَكَ من السُّعداءِ في الدُّنيا والآخرة، وأَنْ يَمْنَحَكَ التَّوفيقَ أَيْنَما تَوَجَّهتَ، وأَنْ يَجْعَلَكَ مُبارَكاً حيثما حَلَلْتَ، وأَنْ يَجْمَعَنَا جميعاً في الفِرْدَوْسِ الأعلى من الجَنَّة.

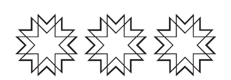
وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آلِه وأصحابِه أجمعين.



(١) أي: اسْتَيْقَظ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٠٤).

(٢) كتاب التَّهجُّد، باب فضل مَنْ تَعَارَّ من اللَّيل فصلَّى، رقم (١١٥٤)، من حديث عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه.

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ





لطلب الكميات ٠٥٦٤٤٤٨٤٥٤
دار الدليقان للتوزيع

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٩٩٧٨-٩